الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

عبقري الدعوة والإصلا ح وبطل الجهاد

مجيب الرحمن عتيق الندوي

حقوق الطبع محفوظة

معلومات عامة

اسم الكتاب: الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

عبقري الدعوة والإصلا ح وبطل الجهاد

المؤلف: : مجيب الرحمن عتيق الندوي

الطبعة الأولى : 2012م

للتواصل

Mujeebur Rehman Ateeq Nadwi

Email: Mujeeb_ateeq@hotmail.com

Abulubaba.nadwi@gmail.com

Contact: +91-9897971203

www.mujeebnadwi.com

الإهداء

إلى النفوس الطيبة الطاهرة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأستشهدوا في بالاكوت،

إلى من واصل مسيرة الدعوة والحركة بعدهم،

إلى كل من قام بالحركة الإسلامية وحاول إعادة المجد التليد للإسلام وضحى بنفسه وماله وبذل وسعه،

إلى جميع العاملين في حقل الدعوة والذين يسعون لتكون كلمة الله هي العليا،

رجاء

أن أنخرط في سلكهم ،،، وأحشر في زمرتهم

كلمة المرتب

يسرني أن أقدم هذه الموجزة من تعريف الإمام الرباني السيد أحمد بن عرفان الشهيد وحركته الدعوية الإصلاحية الكفاحية التي تمثل كبرى الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية، لقد وجهني فضيلة الشيخ الأستاذ سلمان الحسيني الندوي /حفظه الله ورعاه بأن أرتب رسالة مختصرة حول سيرة الإمام والتعريف بحركته القوية التي قام بها فهبت بها ريح الإيمان الطيبة ، فلخصت هذه العجالة من كتاب الإمام إبي الحسن الندوي " إذا هبت ريح الإيمان" وكتاب الشيخ محمد الثاني الحسني " الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في محراب التاريخ " وكتاب الشيخ السيد واضح رشيد الندوي / رحمه الله، ومما زادني شرفا أن أقدم هذه الموجزة الطيبة من سيرة الإمام والتعريف بحركته وجهوده بمناسبة تشريف الإمام فضيلة الشيخ خالد بن علي الحسني الهاشمي الغامدي- حفظه الله تعالى-في نعمة وعافية وهناء جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وأرجو الله أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وصلى الله على النبي الأمي،

كتبه/

مجيب الرحمن عتيق الندوي

جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

مقدمة

فضيلة الشيخ السيد سلمان الحسيني الندوي

إن الإمام الداعية المجدد المجاهد أمير المؤمنين السيد أحمد بن عرفان الشهيد، الذي أقام حركة دعوية إصلاحية شملت أرجاء الهند، وعمت خيراتها شبه القارة الهندية، وانتقل تأثيرها إلى الصين، وأفغانستان، وتركستان، والحجاز، وتركيا، وقد اهتدى ملايين من البشر على يد هذا الإمام الذي جدد الله على يديه الإسلام في القرن الثالث عشر، وقد اتفق علماء المسلمين قاطبة على مكانة الإمام الجليلة ودوره الإصلاحي العظيم، فلاتجد جامعة إسلامية، أومدرسة إسلامية، أو منظمة وجماعة إسلامية إلا وتعتزبالانتماء إليه، وتعتد بأصالتها بالإنسلاك في سلك حركته ودعوته.

لقد كان الإمام الشهيد هو أول من دعا عن طريق الحركة الجهادية العظيمة إلى تحرير هذه البلاد من قبضة الانكليز، وهو أول من قام بدعوة الهندوس إلى الانضمام إلى حركة التحرير، وواصل جهاده حتى أقام حكومة شرعية إسلامية في شمال الهند، في بشاور، وحارب القوات الطاغية، العميلة للإنكليز حروباشديدة وفتح المناطق والمدن إلى أن استشهد في معركة بالاكوت عام 1246-الموافق 1831م، وترك تلامذة خلفاء وعلماء وقادة واصلوا المسيرة الجهادية، وقدموا تضحيات جسيمة عظيمة في القتل والشنق والحبس

والنفي والجلاء حتى استطاعوا بعون الله تعالى وتأييده دحرالانكليز، وهزيمتهم واضطروهم للجلاء من هذا البلاد عام 1947م.

قام الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالحركة الإصلاحية العظيمة، التي نقت المجتمع المسلم من البدع والخرافات، ودعت إلى التمسك بالسنة المطهرة دعوة قوية صريحة، وتمكن خلفاء الإمام وتلامذتهم لأجل هذه الحركة، والصحوة المباركة بعدها، من إقامة الجامعات والمدارس الإسلامية، فمن جامعة ديوبند التي تأسست عام 1866م وجامعة مظاهرالعلوم الإسلامية (1866م) إلى جامعة ندوة العلماء (1892م) إلى الجامعة السلفية (1963م)، والجامعات والكليات والمدارس والحركات الإسلامية، كحركة الدعوة والتبليغ، والجماعة الإسلامية، وجمعية أهل الحديث وغيرها كلها تنتمي إلى هذه الحركة الأم، التي ولدت من رحمها الطاهر هذه الجماعات والمؤسسات كلها، وقد ألف عشرات المؤلفين من العلماء الدعاة والمؤرخين حول هذه الشخصية الجليلة النابغة المجددة، والحركة الإصلاحية والدعوية والجهادية التي قام بها.

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن هذه الحركة الإسلامية تلتقي مع حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب(1703-1791م) - رحمه الله تعالى- في الأصول والفروع رغم عدم تأثر إحداهما بالأخرى من حيث الزمن، واللقاء، والاستفادة المتبادلة، وينبغي لنا الآن أن

نهتم بتلاقي هذه الحركات الإسلامية الإصلاحية، وتلاقحها، وتبادل تجاربها، ومشاركة خدماتها، وأداء الدور المنوط بها،

وبمناسبة قدوم إمام المسجد الحرام المبارك فضيلة الشيخ خالد بن علي الأبلجي الحسني الغامدي – حفظه الله تعالى ورعاه– في جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رتب الأخ الفاضل مجيب الرحمن عتيق الندوي مدير معهد الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي للدعوة والفكر الإسلامي هذا التعريف الموجز لحركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وندعو الله أن يتقبل هذا الجهد ويوفقنا إلى ما يحبه ويرضه، وبالله التوفيق، وصلى الله على النبي الكريم

كتبه

سلمان الحسيني الندوي

رئيس جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

2012 /4/30

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم باحسان إلى يوم الدين،أما بعد !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث على رأس كل مأة سنة من يجدد لها أمر دينها"

فلم تزل سنة الله في عباده – ولا تزال– ولن تجد لسنة الله تبديلا أن يقيض لهذه الأمة رجالا أكفاء ودعاة ومجددين الذين جددوا لها أمر دينها وأعادوا إلي هذا الدين مجده و نضارته وعظمته وشوكته و جدارته لمسايرة ركب الحياة، قال صلي الله عليه و سلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علي الحق، لا يضرهم من خالفهم" رواه الشيخان ،

فلم يزل في هذه الأمة من جدد لها أمر دينها وأيقظها وقد طال بها الكري، ونفخ فيها الروح والحياة والنشاط واالقوة،

إن الأمة الاسلامية الهندية قد شهدت في تاريخها الطويل رجال الدين وزعماء الإصلاح الذين تركوا روائع في الدعوة والإصلاح والجهاد والكفاح مما يقتدى في الظلماء بنورهم، والذين خلدوا دورا بارزا فعالا يجدر بأن يسجل بأحرف من النور على خداد الحور، ومن هؤلاء : الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الماضي في الهند، وتمثل حركته كبري الحركات الإسلامية الدعوية و الإصلاحية والكفاحية في الهند ، و هي ملتقي الحركات التي ظهرت بعدها من حركة تحرير الهند و وحركة المنديل الحريرية لشيخ الهند محمود حسن الديوبندي حركة المدارس الإسلامية وحركة ندوة العلماء وحركة الجماعة الإسلامية والدعوة و التبليغ، يقول الشيخ الندوي : "فمنه كان عصر النهضة الإسلامية و إليه يرجع فضل النشأة الحاضرة ([1])"

نظرة علي الهند في القرن الثامن عشر

لقد أتي علي الهند حين من الدهر اشتعلت فيها نار حوادث كثيرة و تتابعت عليها الشدائد و المشاكل و المحن بعد انتهاء الحرب التي

([1]) ترجمه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ص:13

دارت بين المسلمين و اليسوعيين في القرن الثامن عشر، ذهبت علي أثرها السياسية الإسلامية و الحمية الدينية و سكرة العزة المدنية، فلم يبق يومئذ من الإسلام إلا رسمه ومن الدين إلا رسمه،

وكانت الهند في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد وصلت إلى حضيض الإنحطاط السياسي والديني والخلقي، طرأت عليها حوادث سياسية فكثر فيها المفسدون وأخذوا يعيثون فيها فسادا، بعد ما ذبلت زهرة الدولة المغولية وطوي بساطها وتفرقت عصاها حدثت ثورة بعد ثورة، حتى احتل الهند الإستعمار البريطاني الغاشم، ولعبت يدهم بسياسته، وساروا علي قاعدة: "فرق تسد" " Divide and rule"وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند و ملوكها حتى صار بأسهم بينهم شديد، أما ملوك دهلي التي كانت مهد الحكومة الإسلامية و بغداد الهند قرطبتها فقد بقوا كأعجاز نخل خاوية أوخشب مسندة، ولم يبق لهم صولة ولا جولة، كأن لم يغنوا فيها، حتي ضاقت علي المسلمين أرض الهند،وتوالت عليهم المحن التي كانت تضعفهم وتزيد وهنهم وتؤلب عليهم أعدائهم، وتحت ظل الإستعمار البريطاني الغاشم الطاغي لم يلبث إلا أن قضي على البقية الباقية للحكومة الإسلامية، وفي هذا العجاج الأكدر والوضع المكفهر حاول بعض السلاطين المسلمين الغيارى الحفاظ على متاعهم وتراثهم

وحكومتهم، وكان من بينهم السلطان العادل الأبي الغيور الباسل طيبو الشهيد، دارت بينه وبين القوى الإستعمارية الجديدة حروب طاحنة شديدة، حتى ظنه الإنجليز سدا منيعا لسيرهم وعرقلة كبيرة في طريقهم، وخطرا داهما أرق نومهم،ثم بعد النضال المستمر والكفاح الشديد استطاع الإنجليز إغراء بعض الحكام والولاة للسلطان الذين كان ظاهرهم الصداقة وباطنهم فيه النفاق،جنحوا إلى الإنجليز الطاغية واتخذوهم أولياء من دون المؤمنين،وباعوا ضمائرهم بثمن بخس دراهم معدودة وآثروا النفع العاجل ولعاعة من الدنيا الملعونة على حساب مصالح المسلمين وآخرتهم وعلى حساب دولتهم وحفاظ هويتهم،

أستشهد السلطان "طيبو" في معركة حاسمة على باب قلعته في "ميسور" وهو الذي اتخذ شعار حياته فقال: إن يوما واحدا من حياة الأسد الحر أفضل من مأة سنة من حياة الثعلب" وبعد وفاته فرح الإنجليز وقالوا "منذ اليوم الهند لنا"

وأما الأوضاع الدينية فكانت غاية في الفساد، اندرست معالم الإسلام ورفعت البدعات والخرافات والجاهليات الشركات رأسها، اتخذوا القرآن هزوا، بل كان تلقينه والإستمساك به ذنبا لا يغفر، وأما الحديث فلم يبق منه إلا روايات وأساطير كأساطير ألف ليلة

وليلة،وأفتي بعض العلماء الذين سولت لهم أنفسهم باسقاط فريضة الحج عن مسلمي الهند، و كان الناس يسجدون للقبور والأضرحة سجودهم لله، و وكل امري رضي بشيخه رائدا وإلى النجاة قائدا،ثم المتصوفون الجهال كانوا طامة فوق طامة وضغثا على إبالة، أحلوا ما حرة الله وجعلوا المنكر معروفا والباطل حقا،

وأما الأوضاع الخلقية والإجتماعية فكانت في أسوأ حال ، ما وراءه غاية، لم يأت على المسلمين حين من الدهر مثله، فقد ابتلى المسلمون بلاء عظيما، ذهبت ريحهم وخابوا وخسروا لما فقدوا الدين والسياسة، فكانت الأمة المحمدية كمريض نهكته الأمراض وبلغت منه مبلغها، وثقلت عليه وطأة الداء وحارت منه الأطباء، وبلغ به اليأس منتهاه، في مثل هذه الأوضاع القاتمة والجو الخانق قيض الله سبحانه للأمة المحمدية الهندية أحمد بن عرفان الشهيد إماما مصلحا وداعيا ربانيا وقائدا حكيما ومجاهدا مغوارا وبطلا للدعوة والقيادة، ووفق لمعالجة الأوضاع ورأب الثأي ورتق الفتق والمدافعة عن الإسلام وأهله لما ضاقت عليهم الأرض بل كادت أن تميد بهم، والجهاد في سبيل الله، وإقامة الخلافة الإسلامية على منهاج الخلافة الراشدة،وإنه سقى الشجر الإسلامي بدمه الطاهر بعد ما عراه الذبول،

مولد الإمام السيد أحمد ونشأته

لقد أبصر النور الإمام أحمد بن عرفان بن محمد نور بن محمد هدى بن السيد علم الله، في صفرسنة 1201 الهجري المصادف نوفمبر عام 1786م من أسرة كريمة في بيت علم وورع في "رائ بريلي" من أعمال لكناؤ، ينتهي نسبه إلى سيدنا حسن بن على رضي الله عنه، وكان والده وأعمامه وجده وخاله من كبار الصالحين وأهل العلم، نشأوا في تربية الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، ومشايخ أسرتهم الذين كانوا دعاة مصلحين، ومجاهدين في سبيل الله، يتولون مناصب القضاء والإرشاد، وكانوا منابر العلم والعرفان،

نشأ الإمام في تصون تام وتأله واقتصاد في الملبس والمأكل ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا تقيا ورعا عابدا زاهدا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله عزوجل وقافا عند حدوده رجاعا إليه في سائر الأحوال، كان يذهب إلى بيوت الفقراء والمحتاجين ويتفحص عن أحوالهم،ومع ذلك كان لا يرغب إلى تلقي العلوم المتعارفة، فإنه لم يحفظ من القرآن الكريم إلا سورا عديدة، ومن الكتابة إلا نقش المفردات والمركبات،وذلك في ثلاث سنين،إلا أنه كان أكثر إهتماما

بالتمرينات والألعاب التي تتصل بالفروسية والتربية البدنية، كأن الجهاد همه المنشود وهدفه منذ طفولته، فقد نشأ على قصص الجهاد والبطولة في مهد أمه، وكانت الظروف والأحداث المفجعة التي تحدث في المناطق المجاورة والصراعات التي كانت تقع بين المسلمين وغير المسلمين تقلق باله، وتثير غيرته، وحميته الدينية ، فكانت تشغل باله أكثر من العكوف على التعلم والإنصراف الكامل إليه،

ذكرالشيخ أبوالحسن الندوي رحمه الله عن المصادر الموثوق بها في الأسرة أن الإمام الشهيد كان له شغف زائد بالألعاب الرياضية منذ طفولته، وخاصة الألعاب التي تنمي قوة الجسم، وأحيانا كان يقسم أصحابه من الأطفال ويجعلهم فريقين، ويهاجم أحد الفريق الأخر،ولغلبة حب الجهاد في سبيل الله كان السيد أحمد يجري تمرينات مضنية، ويعود نفسه على تحمل الشدائد، فكان يقوم بتمرينات شاقة للرياضة البدنية عدة ساعات،وتعلم من خلال هذه التمرينات القتال بالسيف، والرماح، والسهام، وإطلاق النار من البندقية، وبرع في إصابة الهدف،(2)

(**2**) رجال الفكر والدعوة للأستاذ واضح رشيد الندوي 83-84

الرحلة الأولى من الوطن إلى لكناؤ

لما بلغ السيد أحمد السابعة من عمره توجه مع جماعة من أقاربه وأحبائه إلى لكناؤ، وكانت هذه الجماعة تشتمل على سبعة أشخاص، ولم يكن لدى هذه الجماعة إلا فرس واحد، وكانوا يتناوبون ركوبها، وآثر السيد أحمد أن يسافر راجلا،فقطع المسافة كلها وهي ثمانون كيلو مترا راجلا،وحمل في بعض الأحوال أمتعة أصحابه

قضى الإمام السيد أحمد أربعة أشهر يخدم الناس ويدعوهم إلى الخير، ويتحمل المشاق، وفي هذه الفترة خطر ببال السيد أحمد أن يسافر إلى دلهي للاستفادة العلمية والدينية من أبناء الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي كالشيخ الإمام المحدث عبدالعزيز الدهلوي والشيخ عبدالقادر الدهلوي، قطع السيد أحمد المسافة الطويلة من لكناؤ إلى دلهي راجلا يخدم المسافرين، يتحمل الظمأ والجوع حتى نقبت قدماه بالمشي الطويل على الأقدام، وصل الإمام السيد أحمد إلى دلهي وتوجه إلى الشيخ المحدث سراج الهند عبد العزيز الدهلوي

رحمه الله وأخذ عنه الطريقة حتى نال حظا وافرا من العلم والمعرفة وفاق الأقران، وأتى بما يتحير منه أعيان البلدة في العلوم والمعارف،

وكان السيد أحمد رغم كونه طالبا للعلم وتزكية النفس لدى الشيخ عبد العزيز وشقيقه الشيخ عبدالقادر الدهلوي ورغم مكانتهما السامية في نفسه وأهل أسرته الذين تتلمذوا عليهما ونالوا إجازتهما في العلوم الإسلامية وتربية النفس، كان إذا رأى شيئا لا يقبله ذهنه الذي رسخت فيه عقيدة التوحيد، ونفى كل شئ غير الله والإعتصام بالشريعة، أظهر عدم ارتياحه وأبدى رأيه فيه بصراحة ولم يعدم الشعور بمسؤولية الداعية، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يحترز عما لا يعنيه وجميع أشغال اللهو والتسلية ، ويحترز عن طرق الصوفية المنافية للشريعة، وكان لديه حس شديد للتوحيد الخالص النقي الصافي عن شوائب الشرك ومظاهره ، وهذه هي ميزته الخاصة، وسمته البارزة ،

استفاد السيد من الشيخين الجليلين واجتاز مراحل التربية والسلوك والإحسان في في عنايتهما، ثم عاد إلى وطنه، وقضى هذه الفترة في المجاهدات المضنية، فتغير تغيرا بارزا،

اقام الإمام في وطنه عدة سنوات، قضاها في الدعوة والإرشاد وإصلاح أحوال الناس وتربية أصحابه تربية دينية، وإعدادهم للجهاد وقد كان همه الإستعداد للجهاد وقد إزداد هذا الهم خلال إقامته للجهاد، وقد هو الموجه الأكبر إلى حركة الجهاد الذي اشتعلت نيرانه في الهند ضد أعداء الإسلام، وقد أصدر الشيخ عبد العزيز الفتوى للحرب لإعادة كلمة الإسلام الذي كان يهدده تصاعد نشاطات الإنجليز (3)

الشيخ عبد العزيز الدهلوي مربي جيل الثورة

كانت أسرة الإمام ولي الله الدهلوي تؤدي دورها القيادي الرائع "مثل منارة ممسى راهب متبتل" في الأوضاع الحالكة الشديدة في الهند، ولهذه الأسرة المباركة أيادي بيضاء وجهود مشكورة في مجال الدعوة والإصلاح والجهاد والكفاح، وفي نشر الدين والعلوم الإسلامية في الهند كلها،

وبعد وفاة الإمام الدهلوي أخذ الراية وتصدى لخدمة الدعوة والتعليم والتربية إبنه الشيخ الإمام العالم الكبيرالعلامة المحدث عبد العزيز بن

(3) (رجال الفكر والدعوة ص: 101)

ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي،الذي كان خير خلف لخير سلف، وكان من العلماء الكبار في عصره، قلما يجود الزمان بأمثاله ، لقبه البعض بـ«سراج الهند» وبـ«حجة الله».

ولد الشيخ سنة 1159هـ، حفظ القرآن الكريم في نعومة أظفاره، وأخذ العلم عن والده –الشيخ شاه ولي الله الدهلوي– فقرأ عليه بعضاً وسمع بعضاً آخر بالتحقيق والدراية والفحص والعناية حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم رغم صغر عمره، لأن والده انتقل إلى جوار ربه وكان عمر الشيخ عبدالعزيز ست عشرة سنة، ثم تتلمذ على أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه. كان كوالده نابغًا في الحديث والفقه، فحمل راية أبيه بعد وفاته، ووقف للإنجليز حين أخذوا يستبدون بالأمر، ويقلصون سلطات الحاكم المسلم، وأطلق الكلمة المأثورة: "إنه لا يُتصوَّر وجود ملك مسلم بدون نفوذ، إلا إذا تصورنا الشمس بدون ضوء!"، وهو صاحب الفتوى الشهيرة بأن الهند أصبحت دار حرب لا دار إسلام، وعلى المسلمين أن يهبوا جميعا للجهاد بعد أن أصبح إمام المسلمين لا حول له ولا قوة، ولا تنفذ أحكامه، والحل والعقد صار بيد الإنجليز المسيحيين..يعينون الموظفين، ويدفعون الرواتب، ويشرفون على القضاء وتنفيذ الأحكام، وما كانت هذه الفتوى إلا سارت به

الركبان وكأن الهند زلزلت زلزالا، دب في المسلمين دبيب الحياة، فرفع راية الجهاد بعد فتواه ضد الإستعمار الطاغي الظالم، فاستمر حتى قهر الإستعمار وأجلاه من الهند، وربى الشيخ جيل الإنقلاب والثورة، توفي الشيخ عبدالعزيز عن حياة عامرة بالدعوة والجهاد والتربية والإصلاح في شوال سنة 1239 هـ، وله ثمانون سنة، وكان قد عاش داعيا مصلحا مربيا وعالما كبيرا، ودفن جنب قبر والده بدهلي،

جامعية الإمام أحمد بن عرفان الشهيد :

يقول الأستاذ السيد واضح رشيد الندوي:

"وقد جمعت هذه الشخصية خصائص ومميزات مناهج السلف الصالح، وقامت بمواجهة ظروف عصرها ، وحل قضاياه المتعددة بأسلوب تمتزج فيه طرق الدعوة والتزكية،والتعليم والتربية والإصلاح والجهاد فكانت شخصية جامعة ، لا يوجد مثل هذا الجمعى في شخصية أخرى، وتركت على مجرى التاريخ آثارا، لا تزال على وجهات العمل الإسلامي المتعددة،

لقد كانت حياة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد حياة معلم ومزك وداع إلى الله ومصلح وشارح للشريعة الإسلامية ومحي للسنة ومكافح للبدع والخرافات والتقاليد والأعراف غير الإسلامية ومجاهد

في سبيل الله، وقد جمع في حياته هذه الجوانب المختلفة للعمل والكفاح بتناسب، ووجه عنايته إلى سائر هذه الجوانب حسب الضرورة والوضع، بدون أن يطغى جانب على جانب، أو التهاون في جانب بالإهتمام الزائد بجانب آخر، أوالإفراط التفريط، واستطاع في حياته القصيرة إعداد نفوس أكفاء للقيام بأعمال تسند إليها، ومسؤليات تفوض إليها، ومنح كل جهة من جهات العمل حقها ونصيبها من الإهتمام، إقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه، واقتفاء بآثاره وسلوكه مع أصحابه" (4)

حبه للجهاد في سبيل الله

وتبدي دراسة سيرته منذ طفولته ونشأته أن العنصر الغالب على طبيعته كان الجهاد في سبيل الله،وكان يميل إلى الفروسية والأعمال الشاقة استعدادا للجهاد ، ولكنه حقق هذا الهدف بعد أن إتخذ له إعدادات لازمة ، ولم يهمل خلال الاستعداد للجهاد وأثناء اشتغاله بالجهاد المسؤليات الأخرى،

(4) (رجال الفكر والدعوة للأستاذ واضح الندوي ص 16)

فكانت معسكراته في نفس الوقت مدارس متنقلة تربي فيها النفوس تربية إسلامية، (5)

النشاط الدعوي وإصلاح المجتمع

وقد بدأ الإمام رحلته الدعوية بعد مغادرة دلهي في 1233 من الهجرة، ورافقه في هذه الجولة الدعوية الإصلاحية الشيخ عبد الحي والشيخ إسماعيل بن عبد الغني، مر الإمام أحمد في جولته هذه بعدة مناطق، وأقام في بعضها خمسة أيام وفي بعضها عشرة أيام، أو أكثر من ذلك، واستغرقت هذه الرحلة الدعوية ستة اشهر تقريبا،

أثر هذه الجولات

خرج الإمام القائد داعيا ومصلحا لما يرى بالأمة الإسلامية الهندية من فساد الدين وتفشي المنكرات والبعد عن الدين، والشركيات والبدع، وكان يرى بأم عينه أن الأمة الإسلامية تعاني أمراضا روحية

(5) (رجال الفكر والدعوة للأستاذ واضح الندوي ص 17)

وأسقاما لا بد من علاجها، فلم يلبث إلا أن قام بحركة دعوية قوية مع رفقائه وأحبابه، يقول الأستاذ واضح رشيد الندوي:

"كانت هذه الرحلة مثل الغيث العميم أو السيل الذي يخصب كل مكان يمر به، وقد حكى الذين شاهدوه مدى تأثير كلامه وسلوكه مع الناس، وكيف كانت تتغير حياة الناس، وكيف كانوا يتهافتون عليه ويتوبون من ذنوبهم، حتى الذين كانوا تعودوا ارتكاب الجرائم،وتعاطى المخدرات كيف كان يسهل عليهم هجر هذه العادات القبيحة، ويقتنعون بالعيش بالكفاف، يوجدون اللذة في ذكر الله، والجلوس مع الصالحين، والتضحية في سبيل الله،

أسلوب الإمام في جولاته الدعوية

كان السيد أحمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأسلوب حكيم في اللقاءات وفي المآدب التي كان يقيمها الأشراف والأعيان في كل منطقة، ويؤكد على إقامة الصلاة، والمواظبة عليها في المساجد، والتخلق بالخلق الإسلامي، ومكافحة البدع والخرافات، ونبذ التقاليد الوثنية والشيعية التي تعم هذه المناطق، ويقوم باصلاح حياة الناس وحل قضاياهم والتصالح بين المسلمين الذين تفرقهم النزاعات أو الخصومات العائلية أو النظرية أو الفقهية

ويوحد كلمتهم، وكان يأمر الشيخ عبد الحي بالوعظ، وكان يشرح أحكام الإسلام، ويبين تعاليم الدين الحنيف،ويصحح العقيدة، فكان يتوب الناس مجتمعين، رجالا ونساء، وتتغير حياتهم، فتعمر المساجد وتكسد الأسواق، وكان يتوب عدد كبير من الهنادك على يده، ويسلمون حيث يقيم مدة من الزمن،"(6)

يصف الشيخ أبوالحسن الندوي أثر هذه الجولات في كتابه إذا هبت ريح الإيمان:

يقول الندوي: " قام السيد الإمام أحمد الشهيد بجولة إصلاحية دعوية، ما بين دلهي وسهارنفور في سنة 1233 من الهجرة، وزار القرى والمدن، ومكث بها أياما وأسابيع، يدعو الناس إلى الله، والتمسك بالسنة، وهجر البدع والخرافات، ويحث على تزكية النفوس،وتهذيب الأخلاق، ويقوم شيخ الإسلام عبد الحي البرهانوي وهو من أخص أصحابه، والمجاهد الجليل الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي وغيرهما من علماء الجماعة بالوعظ، والنصح والإرشاد، وقد هدى الله في هذه الجولة الموفقة

(**6**) رجال الفكر والدعوة 112

خلقا يبلغ عددهم إلى الألوف، وتاب على يد السيد أحمد خلق لا يعلم عددهم إلا الله،وتابوا عن الشرك، وعادات الجاهلية،وشعائر الوثنية،وبايعوا على الجهاد في سبيل الله"

جولة للمناطق الشرقية:

رجع الإمام القائد السيد أحمد بعد هذه الجولة الدعوية الإصلاحية إلى وطنه "راي بريلي" عندما وصل الإمام إلى وطنه كانت المنطقة تعاني حالة جدب، وكان الفقر سائدا، وقد صحبت السيد أحمد جماعة كبيرة من أصحابه،وكانت الوسائل المادية لا تكفي حتى لأفراد الأسرة المحدودين، وكانت تمر أيام بدون أكل شيء ، فطلب منه بعض كبار الأسرة أن يدعو الله تعالى ليفتح لهم باب الرزق، فقال السيد أحمد إنه سيدعو الله تعالى للرزق إذا عاهد أهل الأسرة أن يتمسكوا بتعاليم الدين، وينبذوا كل ما يخالف السنة من أعمال وسلوك، وأن يخلصوا لله،ويوثقوا الإيمان بأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فعاهد أعضاء الأسرة،

نشاطات الإمام أثناء هذه الفترة

وقسم السيد الإمام الوقت لأصحابه، فوقت للتمرينات العسكرية، ووقت للعبادة والتسبيح والذكر،ووقت لخدمة أهل الحاجة،وكان أكبر همه الإصلاح بين الناس، وترسيخ أواصر الأخوة بين المسلمين، وإزالة الخصومات، فكان لا يتردد في التدخل إذا سمع خصومة بين المسلمين، فيسرع إلى الفرق المتخاصمة، أو يرسل من أصحابه شخصا للإصلاح بينهما، كذلك كان حريصا على إغاثة المظلوم، بينما كان يعفو عن من ظلمه أو إعتدى عليه، أو جاء للإعتداء فكان لا يسمح لأصحابه بالإعتداء عليه أو الثأر منه،

وأذن في الناس بالحج

يقول العلامة الإمام الداعية أبوالحسن علي الحسني الندوي في كتابه : " إذا هبت ريح الإيمان" وهو يتحدث عن الظروف التي أعلن فيها السيد أحمد نيته للحج، يقول:

" تعطلت فريضة الحج في الهند من مدة قريبة ، أفتى بعض العلماء الذين كان أكثر اشتغالهم بالعلوم العقلية، ولم تكن لهم قدم راسخة في علوم الكتاب والسنة،وكان معولهم على بعض الكتب الفقهية، والأقوال الشاذة بسقوط فريضة الحج عن ذمة المسلمين في الهند،على أساس أن السفن الشراعية في البحر خطر على النفوس

والأرواح، فلا يتحقق الشرط (من استطاع إليه سبيلا) وخاف أهل الغيرة الدينية والفراسة الإيمانية والراسخون في العلم أن المسلمين لو استجابوا لهذه الدعوة وانصرفوا عن الحج، صعبت عودتهم إلى هذه الفريضة، وشق تجديد هذا الركن العظيم في الإسلام، ووقع خلل عظيم في الدين، وثلمة لا تسد في حصن الإسلام الحصين، فقام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد صاحباه مولانن عبد الحي البرهانوي ومولانا إسماعيل الدهلوي بحملة علمية وعملية قوية ضد هذه الفتنة العمياء، ثم نادى السيد في الناس في بالحج وأرسل البعوث وكتب الرسائل،وتكفل نفقات كل من ليس عنده زاد، وطار ذلك في الهند،وشاع في الناس، فالتهبت جمرات الشوق والإيمان الخامدة، وقويت الهمم الفاترة، وصار المسلمون له بكل طريق ممكن، ودبت في المسلمين حياة إيمانية جديدة، وقوي الحنين إلى الى البيت الحرام، وأم الناس من كل ناحية من أنحاء الهند إلى مركز الدعوة وقطبها،والتفوا حوله،فما من يوم إلا وفيه وفد من قاصدي الحج،والمستجبين لدعوة الله، ونداء خليله إبراهيم، (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) خرج السيد مع الناس في غرة شوال سنة 1236 من الهجرة، وكانت هذه الرحلة الحجازية فرصة

كبيرة للإصلاح والتربية لمن خرج مع الإمام السيد أحمد ، وكانت هذه القافلة مدرسة سيارة وثكنة وجوالة ومجتمعا دينيا متنقلا، تلقى فيه المواعظ والخطبن ويتعلم الناس الدين واحكام الشرع وآداب الإسلام،ويخدم بعضهم بعضا، ويتعاونون على البر والتقوى، ويسود جو من الأخوة والمواساوة والعدل والمساواة،

وبعد ما بدأت هذه القافلة المباركة رحلتها وقطعت مسافة قصيرة وقف الإمام السيد أحمد وخاطب أصحابه قائلا:

" إخواني! إنكم هجرتم أوطانكم ومنازلكم ، لتسعدوا بالحج والعمرة، ابتغاء رضوان الله، فيلزمكم أن تكونوا إخوة متحابين كأنكم أشقاء، أبوكم واحد وأمكم واحدة، ويحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره ما يكره لنفسه، وليشارك كل واحد صاحبه فيما يشتغل به، ولا يستنكف عن خدمته، بل يعتبر ذلك شرفا وفخرا، فإذا رأى الناس فيكم هذه الأخلاق حرصوا على صحبتكم ومرافقتكم، وقالوا : هؤلاء من طراز خاص ونوع فريد، ففاز هؤلاء القوم، وحسن أولئك رفيقا"

رجع الإمام السيد أحمد وزار في الطريق كثيرا من المدن والقرى، وتاب ألوف من الناس على يده البماركة عن المعاصي والذنوب،

وتغيرت الظروف بمواعظه المؤثرة وكلماته الرقيقة ، وهبت النفحات الإيمانية في كل مكان مر به،

فكرة الجهاد ،،، من حيز التفكير إلى التطبيق

قام الإمام السيد برحلة ثانية إلى دلهي عام 1226 من الهجرة، ثم توجه إلى النواب أمير خان للتربية العسكرية الذي كان رمزا لقوة المسلمين الصاعدة في وجه الزحف الإنجليزي، وهذا النواب أمير خان كان قائدا أفغاني الأصل ذا همة عالية وطموح، ولد سنة 1202 من الهجرة، والتف حوله عدد من المغامرين من أصحاب الطموح والفتوة والفروسية والرفقاء الأولياء المتحمسين، وذاع صيته كقائد عسكري حتى أصبح يخشى بل تحديا للإنجليز المحتلين لم يكن لهم أن يستهينوا به ويتغافلوا عنه، إنضم الإمام السيد أحمد إلى عسكره للتربية العسكرية ومقاومة خطر الزحف الإنجليزي، وكان السيد احمد يحرضه على قتال الإنجليز والصمود في وجههم، لكن دسائس الإنجليز ووسائل خداعهم قد غيرت الأمير، فوقع في حبالة خداعهم،ودخل في صفقة مع الإنجليز، لأنه لم يكن إلا قائدا باسلا مغوارا، ولم يكن صاحب بصيرة نافذة ، ولما رأى الإمام السيد أن أمير خان الذي كان يشكل أكبر قوة للمسلمين قد غير

موقفه إزاء الإنجليز، كتب رسالة إلى الشيخ عبد العزيز يقول فيها:" اضطربت الأحوال في جيش أمير خان ، فقد لحق الأمير بالإنجليز، فلا أرى لى مبررا في البقاء هنا" (7)

مكث الإمام السيد في جيش الأمير سبع سنوات، وواصل خلالها أعماله ووظائفه للإصلاح والتربية الروحانية بجانب الإشتغال بالأمور العسكرية، فتحول الجيش إلى مجال لأعمال الدعوة والإرشاد، وصلحت حياة الجنود، وحدث انقلاب في حياة أمير خان، فتحول هذا المعسكر إلى مدرسة وركز للدعوة والجنود إلى دعاة بأثر شخصية الإمام أحمد وجهده وهمه الدعوي، ترك الإمام أحمد أمير خان وعاد إلى دلهي،

الحركة الجهادية

بدأ السيد الإمام بعد وصوله إلى " راي بريلي" إعداد النفوس للجهاد، فكان يحث على التمرينات العسكرية،

(7) (سيرة السيد أحمد لغلام رسول مهر ص: 93)

وقد شرح الإمام السيد أحمد منهجه أن الذي يسعى لإقامة الدين، ونشر تعاليمه، ودعوة الناس إلى الله، وتنفيذ أوامره في العالم خير ممن ينهمك في الذكر والسلوك ولا يهمه أمر المسلمين،

لقد اختار السيد أحمد هذا الطريق بعد أن فرغ من تربية أصحابه تربية دينية ، وقام بتزكية قلوبهم، فقد قضى بنفسه في دلهي فترة في رياضة النفس ، والإشتغال بالعبادة والذكر، حتى كانت تتورم قدماه في الصلاةن وكان يحيي الليالي كلها، وخاصة في رمضان كان يعبد طول الليل، كان لا تكتحل عينيه بالنوم، ولكن إنصرف همه الآن إلى إقامة الدين، وإزالة العقبات التي تعترض في سبيله،

لماذا تحول إلى الجهاد والكفاح وآثر متاعبه ومشاقه على مجالس الذكر والعبادة، يمكن فهمه من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الشيخ إسماعيل الشهيد،

قال الشيخ إسماعيل: كنا في نشوة في ذكر الله فكنا لا نبالي بالأكل والشرب واللباس شيئا،و لا نجد لذة في شيئ إلا في ذكر الله،

فقال السيد أحمد: لقد انقضى ذالك العهد ،إنه كان في منزلة،فقد كان اللطف الإلهي شملنا في ذالك الوقت، وصرفنا إلى ذلك الجانب ، فكنا في حال أن أي شخص إذا جلس برهة في مجلسنا

إرتقى إرتقاء روحيا باطنيا فس ساعات، وكان هذا الرقي الباطني الذي يحصل عادة في أماكن أخرى في سنوات عديدة، كان يحصل في مجالسنا في دقائق، ثم انفتحت علينا أبواب الدعوة إلى مقاصد أعلى،و أجل، ووصت سلسلة الدعوة إلى مرتبة أعلى ، وانكشف هذا الحال على كل مؤيد ومعارض،وأمرنا الآن بالجهاد مع الكفار، وهذا هو طريق أولى العزم من الرسل، وأسوتهم والحمد لله على ذلك" (8)

الهجرة والجهاد

بدأ الإمام السيد مهمته بكتابة الرسائل إلى وجهاء عصره وأعيانه وبعض الحكام المسلمين، وحاول إثارة حفيظتهم وغيرتهم وولاءهم للوطن،وبعث فيهم الشعور بالخوف من هؤلاء الغزاة الأجانب،والصمود في وجههم، فيقول في رسالة إلى شاه سليمان والي "جترال" : لقد تدهورت حكومة الهند وسلتطها لسوء الحظ منذ أعوام إلى وضع سيء حتى استولى المسيحيون والمشركون على أكثر بقاع الهند، وملأوها بظلمات الظلم والجور والطغيان،

(8) رجال الفكر والدعوة ص (119-120)

رسالته إلى حاكم "كواليار"

وفي رسالة وجهها إلى "هندوراؤ " حاكم "كواليار" يقول السيد أحمد:

"من الواضح الظاهر عليكم ان هؤلاء السكان وراء البحار قد ظلوا سلاطين العالم وملوك الأرض ، إن هؤلاء البياعين التجار قد غدوا يملكون زمام البلاد،وقد أسقطوا حكومات الحكام الكبار، وانتهكوا الحرمات والأعراض،وأذلوهم وأرغموا أنوفهم،"

هذه الرسائل وسيرته الذاتية تدل على أن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد هو الذي ارشد إلى الكفاح لإجلاء الإنجليز من الهند، وأعد جماعة متحلية بالخلق النبيل والسيرة المثالية، وخشية الله وحب الإنسان وعلو الهمة وبعد النظر والبصيرة، والفراسة الإيمانية، والفداء والتضحية التي لا يوجد لها نظير في التاريخ القريب ولا في المناطق الشاسعة،

ما هو المقصود الحقيقي من الجهاد

ماذا كان يقصده الإمام السيد ويتوخاه من خلال جهده وتحمل المشاق والهجرة، هل كان يقصد قهر عدو أجنبي أو فتح بلد أو

إنشاء حكومة أو مظاهر فروسية وشجاعة،؟ أوضح ذلك كله في رسالة له، قال فيها:

" إن المقصود الوحيد لهذا الجهد هو العمل بما ورد من أحكام للحرب مع أهل الكفر والضلال والعمل بقوله تعالى: (وجتهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، فلا منص لعبد مطيع إلا أن يمتثل لما أمره ربه،

وقد وثق هذا العبد الفقير بما وعده الله تعالى، ووجه اهتمامه كله إلى إمتثال أمر الحاكم الحقيقي، ونبذ ما سواه،وأغمض عينيه عن كل شيء، ووضع نصب عينيه رضا ربه،وسلك هذا الطريق بكل طمأنينة واستبشار، وفرح وابتهاج"

ويقول :

"لا نبتغي إلا رضا الله سبحانه، وقد أغمضنا أعيننا، وصرفنا آذاننا عن غير الله، ونفضنا أيدينا عن كل ما يمت إلى الدنيا وما فيها بصلة،ولم نرفع راية الجهاد إلا لله، لانريد منه مالا،ولا سيادة ولا إمارة،ولا حكومة، ولا هدف لنا إلا الحصول على رضا الله، ولا مقصود إلا الله،

لقد تسلط علينا في الهند النصرانيون والمشركون، وخضعت معظم أجزاء الهند لهم،وعم الاضطهاد والجور، وسادت الطقوس والعادات الوثنية والإلحادية،ورفعت الشعائر الإسلامية، فأحزننا هذا الوضع وبعثنا على النهوض، وغلبنا الشوق إلى الهجرة، وثارت الغيرة الإيمانية في القلوب، وساقتنا عاطفة الجهاد إلى الخروج في سبيل الله، لا نهدف من هذا الجهاد إلا استخلاص بلدنا الإسلامي من سيطرة الأعداء، وأن ترفع كلمة الله، ونحيي سنة سنة رسولنا الكريم،ونطبق شريعته،

وأوضح السيد أحمد في رسالة له أنه لا يريد بهذا الجهاد إنشاء حكومة له،بل صرح أنه عندما يتم استخلاص الأرض المغتصبة، ويتحقق لنا هدفنا المنشود وهو تحرير البلاد، فاننا سنسلم حكم هذا البلد إلى من يستحقه أو يطلبه ، ولا نطلب من ولاة الأمور إلا أن يخدموا الإسلام بأنفسهم وأموالهم، وبذلك هم يبقون في ولايتهم"(9)

الحاجة إلى الهجرة

(9) (سيرة السيد أحمد للندوي)

كان السيد أحمد ببصيرته، ونظره الثاقب، وإدراكه الديني الحاد ينظر بأم عينيه ماكان يقاسيه الإسلام من جفوة، وغربة، وعجز علماء الدين، وأهل العلم، ومحنتهم في تأدية فرائضهم، كان يرى غلبة القوى المعادية للإسلام، وحالة بؤس المسلمين وشقائهم في "بنجاب" فكانوا يقضون فيها حياة الذل والاستكانة.

وقد أصيبت الأمة بكاملها بعدم الثقة، والشعور بالحرمان والذلة، كانت تصادر ممتلكات المسلمين وعقارهم، بأعذار بسيطة لا قيمة لها، وأسس مزورة، وحولت غرف المسجد الشاهي في "لاهور" المعرو ف بفن العمارة، وأهميته التاريخية إلى اصطبل، وفرض الحظر في أماكن متعددة على الأذان، وحرمت عدة شعائر إسلامية، فثارت في المسلمين بهذه الحياة الذليلة الوضيعة آثار القلق والتبرم، وهاجت فيهم حميتهم الدينية والاضطراب النفسي الذي يخامره الشعور بالخيبة، وكيف كان يمكن احتمال ذلة المسلمين واحتقارهم، وتسلط قوة معادية للإسلام عرفت بحقدها للإسلام والمسلمين، وإرصادها لهم في هذه المنطقة الواسعة الواقعة على الثغور، التي كانت دائما مركزا لأجيال المسلمين الأكفاء للخدمة العسكرية.

كانت هذه الطغمة الحاكمة خطراً دائماً على مركز الهند بـ"دلهي" وسائر أجزاء الهند الشمالية الغربية، ومناطق الثغور، و"أفغانستان" على الأخص فأدرك السيد أحمد ورفقاؤه بنظرهم الثاقب، وفراستهم البالغة هذه الأخطار الكامنة، فمنع "البنجاب" الأولوية لأعماله ونشاطه الجهادي.

أقلقت السيد أحمد من جهة أخرى سلطة الانجليز النامية على الهند، والحروب الأهلية القائمة بين المسلمين، ومناظر انحطاط الإسلام، وأثارت حفيظته، وحميت بها حميته، وغيرته الدينية، وأدرك أن إعلاء كلمة الله، وإنقاذ الدول الإسلامية وحمايتها تطالب كل مسلم غيور يشعر بالمسؤولية بالجهاد: فكان يعتقد أن الجهاد من أهم شعب الدين، وخطوة إكمالية لها، وكان يعتبر الهجرة مقدمة للجهاد. لأن الجهاد في تلك الظروف لم يكن ميسراً بدون الهجرة: فأثارته الآيات الصريحة التي وردت في القرآن، والأحاديث الواضحة على اتخاذ هذه الخطوة، وكان الشوق إلى الحصول على رضا الله وحبه رائده، فوطدت الحقائق والمشاعر التي كانت تتغلغل في أعماق قلبه وأغوار فكره، العزم على الجهاد، والخروج في سبيل الله.

كان السيد أحمد يهدف رئيسياً إلى تحرير الهند من حيث المجموع، كما يتضح من رسائله العديدة التي بعث بها إلى ولاة

الأمر، والحكام في الولايات الهندية، والأمراء وحكام الدول الأخرى خارج الهند، ولكن "بنجاب" كانت تقتضي الأولوية والإسعاف العاجل نظراً لاستقرار حكومة "رنجيت سنكه" فيها، ورسوخها عملياً، وتعرض المسلمين بسببها للظلم والاستبداد، ثم إن المصالح العسكرية، والوعي السياسي كان يقتضي أن تبدأ هذه الحركة من الثغور الغربية للهند، باعتبارها مركزاً لقبائل الأفغان الأقوياء والبسلاء المتحمسين الغيارى الذين كانت تقوم مع أفراد أسرهم وأقاربهم علاقات البيعة، والاسترشاد مع السيد أحمد وكان كثيرون منهم يشتركون في جيشه. وأكدوا أن هذه القبائل ستنصره، وتساعده في نيل هذا المرام، ثم ان المنطقة كانت متصلة بحزام للحكم الإسلامي الممتد إلى "تركيا" فكان السيد أحمد يعد نفسه وجماعته لهذا الهدف السامي منذ بداية حركته.

الهجرة

ودع السيد وطنه "رائي بريلي" يوم الاثنين، 7 من جمادى الآخرة 1241هـ -17 يناير 1826م، واجتاز للوصول إلى ثغور الهند الشمالية الغربية ولايات "مالوه" و "بلوخستان" و "أفغانستان" وصحراء ولاية الثغور، وسهولها، وجبالها، ومضايقها، وغاباتها، وأنهارها، ومستنقعات، كانت عسيرة العبور، فكانت في حد داتها

نوعاً من الجهاد، فواجه في بعض الأماكن نقص الماء، وقلة التموينات الغذائية، ووعورة الطريق، وعسر المرور، وخطر النهاب وقطاع الطريق، وشده الجوع والعطش، وغربة البلاد والأقوام، ولغات جديدة غير معروفة. واختلاف الطباع بالاضافة إلى الشبهة. والمخاوف والريب. والتحقيق والتجسس. وكانت جماعته تتكون من أفراد يرجع أصلهم إلى "دلهي" و "أودهه" ومنطقة النهرين. من أشراف وأعيان، وعلماء ومشايخ ونخباء أسر غنية، ورباءب النعيم، وأفراد أنهكتهم متاعب الحياة وضعف الصحة، ولكن كانت تنعشهم نشوة الجهاد، والشوق إلى الشهادة، وكان عددهم يبلغ 600 شخص.

عرج السيد أحمد أولاً على "دلؤ" ثم "فتح بور" ف "بانده" ثم "جالون"و"مالوه" و "كواليار"، ثم توجه إلى "تونك" وفي كل مكان ومقام توقف السيد فيه قوبل بحفارة بالغة، ورحب به المسلمون. وتشرفوا بالبيعة والإرشاد، وتشرف في "كواليار" أميرها على دعوة منه باللقاء، فقدم إليه الأمير هدية، ثم ذهب السيد أحمد إلى "تونك" فرحب به أمير "تونك" أمير خان (الذي كان قضى السيد أحمد في جيشه ست سنوات) ترحيبا حاراً وشايعه إلى مسافة بعيدة في رحلته التالية. ثم توجه من "تونك" إلى "أجمير" و

"بالي" ماراً بصحراء "ماروار" العسيرة المرور،ووصل إلى "حيدرآباد" بـ "السند" وبايعه في الطريق ألوف من الناس رجالاً ونساءاً، وصاحبه عدد كبير من الناس، وكانت السند في ذلك العهد منطقة مستقلة بالسيادة تحكمها أسرة واحدة، وكان يسكنها مئات الألوف من المحاربين، والأبطال المدربين في فنون الحرب، وكان مع ذلك عدد كبير من المشايخ لذين كان أتباعهم منتشرين، في "السند" كلها، فرحب جميعهم بالسيد أحمد، ووعدوا له بكل مساندة ومساعدة والمشايخ الآخرون بحفاوة بالغة، وأنزلوه منزل إكرام وشرف.

أقام بـ "حيدر آباد" مدة أسبوع، ثم ذهب إلى "بيركوت" وأقام فيها أسبوعين، ثم توجه إلى "شكاربور" وقابل المشايخ وصلحاء "السند".

ومن "شكابور" توجه إلى "جهتر بهاك"و "دهادر" ماراً بأماكن مختلفة، قضى فيها بضعة أيام. ليدعو الناس إلى الجهاد، والخروج في سبيل الله. وفي جميع هذه الأماكن تشرف بزيارته والاستفادة منه عدد كبير من المشايخ والعلماء، ورجال الحكم، فاختار لهذه القافلة طريق مضيق "بولان" الضيق والخطير، ومضيق "بولان" هو نفق طويل في الجبل، فتحه الله تعالى بقدرته

لأولي العزم من الفاتحين والمسافرين المخاطرين في هذه السلسلة الطويلة للجبال، التي تفصل بين "الهند" و "أفغانستان" فوصل إلى "كوئته"ماراً بـ "بولان"، وأبدى أميرها حبه، وأكرمه، وبايعه العلماء.

في "أفغانستان"

وصل إلى "قندهار" قادماً من "كوئته"، وكان يحكم "أفغانستان" إخوة بارك زئي المعروفون بـ "درانيين" فكان يحكم "قندهار" بردل خان، وكان والي "غزنين" مير محمدخان، و "كابل" دوست محمد خان والسلطان محمد خان، و "بشاور" يار محمدخان، وكان بين هؤلآء الإخوة صراع شديد، وتنافس في الملك، وكانت بينهم شحناء وأحقاد وأضغان متأصلة، فكانوا يخوضون معارك بينهم، وتنشب الحروب أهلية،فكان من أهم أهداف السيد أحمد وثمار جهوده أن يجمع الاخوة المتحاربين بينهم، على رصيف واحد، ويوحد صفوفهم ويؤلف بينهم على كلمة الإسلام، والجهاد مع أعداء الإسلام.

ولما وصل إلى "قندهار" استقبله حاكم "قندهار" وخرج ألوف من العلماء، وأعيان البلد راجلين لاستقباله، وازدحمت الشوارع بالمرحبين به، وتوقف المرور عليها بسببها، وأقام أربعة أيام في

"قندهار" فكان كل شخص تواقاً إلى الجهاد معه. وحريصاً على الخروج معه في سبيله، وتوجه إلى "غزنين" من "قندهار"، فرافقه أربع مأة تقريباً، من العلماء والفضلاء، وطلبة المدارس، وشيوخ الزوايا، في نشوة الجهاد، والحنين إلى الشهادة في سبيل الله، فاختار منهم مأتين وسبعين شخصاً، واستصحبهم، وبعث عن طريق "غزنين" رسائل إلى مير محمد خان حاكم "غزنين" والسلطان محمد خان حاكم "كابل" وأخبرهم بقدومه. وبين لهم أهدافه، وأغراضه، وأبدى رغبته في تعاونهم معه في هذه الغرض السامي، فلما وصل إلى "غزنين" استقبله أعيان البلد، ورجال العلم والفضل، وعدد لا يحصى من الراكبين والراجلين خارج المدينة على مسافة ميلين، ونصب خيمته بجوار ضريح السلطان محمود الغزنوي، وبايعه في هذا المكان عدد كبير من الناس.

وأقام بغزنين يومين، ثم ذهب إلى "كابل" فخرج كبار الأمراء والأشراف، وألوف من الناس إلى خارج البلد لاستقباله، فكان يتصاعد الغبار لازدحام الناس، وأظلم الطريق، وكان السلطان محمد خان والي "كابل" مع ثلاثة من إخوته، وحرس يتكون من خمسين شخصاً، ينتظروصوله، فاستقبله، وقابله، وأكرمه،وأقام بـ "كابل" شهراًونصف شهر، فكانت أيام دعوة وإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاستعداد للجهاد، وانتفع بصحبته

عامة الناس وخاصتهم، وانضموا إلى جماعة المجاهدين بتأثير رفقائه، وأحوالهم وحنينهم للجهاد، ومبادرتهم إلى الخير،والشوق إلى الشهادة.

وحاول السيد أحمد بما كان في وسعه من مجهود للإصلاح بين إخوة "بارك زئي" ومدد إقامته لهذا الغرض، ولكن مساعيه الطيبة لم تكلل كلياً بالنجاح، فاضطر إلى مغادرته إلى "بشاور" وكان المسلمون في الطريق يستقبلونه بحماس، وعواطف ودية مماثلة، جربها أثناء السفر كله، فمكث في "بشاور" ثلاثة أيام، ثم أقام في "هشت نجر" بضعة أيام، وأعد المسلمين للجهاد، وتوجه إلى "نوشهره" حيث استهل مهمته الحبيبة وعبادته العظمى،وهي الجهاد، الذي كان لب تعاليمه، وجوهر دعوته، وخلاصة جهوده منذ سنوات، وقطع من أجلها هذه المسافة الطويلة، وتحمل من أجل هذه الصعاب التي تصرف همم أولي الغزم.

حرب "أكوره"

بعث من "نوشهره" رسائل إلى حكومة "لاهور" وجه فيها الدعوة إلى الإسلام، وإلا إلى دفع الجزية، وطالب بالطاعة، وهدد بالحرب، إذا رفضت المطالبتان، وكتب في ختام رسالته: "إنكم لا تحبون الخمر مثلما نحب الشهادة" فلما بلغت حكومة "لاهور" رسالة السيد أحمد، بدأت استعداد الحرب، وسرت نشوة الجهاد في المجاهدين، وحدث انتعاش وهزة، كأنه حان اليوم الذي كانوا يحلمون

به، وكان الشوق إلى الشهادة يطير بهم ويهزهم، كانت جماعة السيد أحمد تتكون من سبع مأة جندي كان جيش الأعداء يضم سبعة آلاف جندي مسلح، وواجهت فئة قليلة جيشاً يساوي عشرة أضعافها يوم الأربعاء في 20/جمادي الأولى 1242هـ (20من ديسمبر 1826م) لدى منتصف الليل، وقاتل المجاهدون بجراءة وشجاعة بالغة، وبدأ العدو ينسحب من المعركة منهزماً،ولم ينقض نصف الليل إلا وانسحب العدو، وخلت ساحة المعركة، فازداد المسلمون قوة بعد قوة، وارتفعت روحهم المعنوية، والتفت رؤساء مختلف القبائل، والعلماء، والأشراف إلى السيد أحمد للبيعة، وزادت ثقتهم به، فأصلح بين الرؤساء والشيوخ، وبايعه أيضاً قائد قلعة "هند" السردار خادي خان، وبناء على طلبه أقام السيد أحمد مع رفقائه في قلعته ثلاثة أشهر.

غارة "حضرو" والبيعة والإمامة

بعد النصر الذي تحقق في حرب "أكوره" طلب "الأفغان" من السيد أحمد بأن يبيت على "حضرو" التي كانت سوقاً كبيرة خاضعة لحكم السيخ، فأذن له السيد أحمد، ولكنه لم يشترك في الغارة بنفسه، وقد اعتدى في هذه الغارة الليلة الجنود المحليون، والأفغان، وخرقوا القوانين، فلم يتمسكوا بأوامر السيد أحمد وتعاليمه، وقاموا بكل ما حلا لهم من عمل، فاتخذ العلماء في الجيش قراراً

بالاجماع أن أهم أمر، وأرجحه اختيار إمام وأمير للقيام بالجهاد في ظله، وحسب توجيهاته.

فبويع السيد أحمد بالامامة والخلافة بالإجماع في "هند" في 12 من جمادى الآخرة 1242هـ (13/يناير 1827م) وبايعه خادي خان، وأشرف خان، وفتح خان، وبهرام خان، وجميع القواد والرؤساء علاوة على عدد كبير من العلماء من الهند الذين كانوا معه، فقبلوه إماماً لهم، وأرسل السيد أحمد رسائل إلى سائرولاة الأمر في البلاد، والعلماء، والمشايخ، والرؤساء، يدعوهم فيها إلى البيعة، ويفيدهم علماً بها، فلما سمع السردار يار محمد خان "والسلطان محمد خان" من ولاة "بشاور" شعبيته والإقبال عليه، وربانيته، قدموا إليه بجماعة كبيرة، وبايعوه، ونفذ السيد أحمد بعد انتخابه أميراً النظام الشرعي الإسلامي في سائر المنطقة، وطبق سائر قوانين الإسلام، فبدأت المحاكم تسوي سائر الأموروالقضايا في ضوء السنة، وكان من أثر المحاسبة أن خلت البلاد كلها من تاركي الصلاة.

حرب "شيدو" والتسميم:

أصبحت المنطقة بعد إمامة السيد أحمد وخلافته بلداً متحداً، ولما انتهت السيادات الإقليمية والحكم الذاتي، والإقطاعية لقادة ورؤساء قبائل مختلفة صغيرة وكبيرة بتوحيد البلاد، دبت في قلوبهم المخاوف والأحقاد، والحسد، وإن كانوا يبدون انقيادهم

وخضوعهم لحكم السيد أحمد، وبايعوه بجراء التيار الجديد للطاعة والانقياد والحب السائد، لكنهم كانوا يكنون في قلوبهم نوايا شريرة، يحيكون له المكائد والدسائس، فبدأوا يتآمرون سرياً مع بلاط "لاهور".

أبدى هؤلاء السادة والقادة الذين كانت أفواههم مع السيد أحمد، وأفئدتهم مع بلاط "لاهور" بعد اشتباكات عديدة، ومناوشات مع السيخ، رغبة أن تقوم حرب حاسمة ومدمرة ضد السيخ، لتسوية المسألة كلياً، فاختبر بإشارة من هؤلاء السادة ميدان "شيدو" وبدأت الإستعدادات للحرب، إذ دس هؤلاء المنافقون السم في طعام السيد أحمد ليلة، وكان جيش المسلمين عندئذ يتكون من المحليين وغير المحليين، وكان جميع الرؤساء والقادة مع جنودهم وكتيبتهم. وكانت كفة الحرب ترجح في صالح المسلمين. وإذا بقادة "بشاور" ينحازون إلى السيخ، وفر السلطان يار محمد خان مع رفقائه من ميدان الحرب. فلم يعد السيد أحمد بعد هذه الحرب يواجه السيخ فحسب. بل كان ضده قادة ورؤساء "بشاور" أيضاً، و "الخوارج"، ثم وقف جيش مسلح كامل للمنافقين ضد السيد أحمد.

في "بنجتار"

وفي الوضع الجديد الذي حدث إثر هذه التطورات انتقل السيد أحمد على طلب من فتح خان والي "بنجتار" من "هند" إلى "بنجتار" وجعلها مقراً له، وتقع "بنجتار" بالقرب من "سوات" في وسط الجبال، وهي منطقة محمية، وظلت "بنجتار" إلى مدة طويلة مقراً للمجاهدين، وتشرفت أن تكون ثكنة إسلامية، ومركزاً للإصلاح، والتربية الدينية، فكانت هذه الهضبة الصغيرة ثكنة عامرة للمجاهدين كانت كل ناحية منها آهلة بالمجاهدين والعباد، تذخر بالذكر والتلاوة والجهاد والمجاهدات. والحب والأخوة والخدمة الإيثار.

لم تكن إقامة السيد بـ "بنجتار" وعمرانها مما يسوغ والي "هند" وثار في قلبه الحسد، وحقد على السيد أحمد، فدبر للإساءة إليه وعلى الجهة الأخرى، لم تؤثر الهزيمة المفاجئة التي لقيها السيد أحمد في "شيدو" أي فتور في همة السيد أحمد، أو عدول عن دعوته، وجهاده، فقام بجولة في "بنير" و "سوات" ثم "هزاره" وكانت هذه الجولة ناجحة للغاية في الدعوة، والنفع الديني، والإرشاد، والجهاد، والدعوة إليه وتوجه من "بنجتار" إلى "خهر" وهي مركز ل "سوات" وأقام بها عاماً كاملاً، وفي هذا المكان توفي

الشيخ عبدالحي، وكان شيخ الإسلام في جيش السيد أحمد، وكان يحترمه السيد أحمد غاية الاحترام.

مواجهة القائد الفرنسي لرنجيت سنكه

أغار وينتورا القائد الفرنسي في جيش رنجيت سنكه على المجاهدين بجيش مكون من أكثر من عشرة آلاف جندي، وساعده فيه خادي خان والي "هند" ولكن الجنرال وينتورا انهزم، وانسحب لما عاين الشوق إلى الشهادة، والحماس للجهاد في المجاهدين. ورجع إلى "لاهور" ثم زحف جيشه من جديد بعد عدة شهور، وتوجه إلى "سمة" واستقبله خادي خان. وساعده سرياً. فلما علم السيد أحمد بقدوم جيش وينتورا، أخبر به رفقاءه. وبعث برسائل، ثم شيد جداراً دفاعياً، وبايعه المجاهدون بيعة الموت، وشاهد وينتورا أن المجاهدين منتشرون على هضبات الجبال، والممرات الجبلية،ومضايقها، فرجع خوفاً ورعباً، وقذف الله في القلوب الخوف، ورعب المجاهدين، وذاع صيتهم في سائر الضواحي، وبدأ الناس يتدفقون إليه، ويبايعونه، فقام السيد أحمد بجولات في القرى والمدن، وشدد النظام الشرعي للحكم، ولكن خادي خان ظل على مكيدته وحقده، ومؤامرته مع الأعداء، رغم جميع وسائل الإفهام، والشرح، والإقناع، التي اتخذت لترضيته، فلم يبق أمام

السيد أحمد بديل إلا أن يغير على قلعة "هند" ويفتحها، وقتل خادي خان في هذه الغارة.

حرب "زيده" ومقتل يار محمد خان

انحاز أمير خان الأخ الأكبر لخادي خان، إلى السردار يار محمد خان الذي كان قد دس السم في طعام السيد أحمد في حرب "شيدو" وتآمر معه، وأجرى السيد أحمد محادثات معه، ليمنعه عن الفرقة، والاضطراب والفساد، والفتنة، لكنه شد حرباً ضد المجاهدين في منطقة "زيده" ولم يقبل نصحه، فواجه المجاهدون هذا التحدي بثبات وحزم وقوة، وحصدوا الجيش الدارني، واستولوا على مدافعه، فلاذ الجنود كلهم إلى الفرار، وقتل يار محمد خان، وهاجم الدرانيون على قلعة "هند" التي كان المجاهدين يحتلونها، ولم يكن عدد المجاهدين يزيد عن ستين، ولكنهم قاوموا هذه الغارة بثبات ومثابرة، وخيبوها.

أشيع في هذه الفترة أن المجاهدين يعتزمون الهجوم على "بشاور" التي كانت تحت سلطة الدار نيين، فانحرف الدرانيون عن "هند" والتفتوا إلى "بشاور" وفي نفس الأثناء احتل المجاهدون "عشرة" و "أمب".

كان يريد السيد أحمد أن يتوجه إلى "كشمير" وكان يقتضي ذلك احتلال "بهولره" فوجه جماعة من المجاهدين بقيادة ابن أخته السيد علي وهجم السيخ على هذه الجماعة بغتة. فاستشهد عدد كبير من المجاهدين نتيجة لهذه الغارة المباغتة، واستشهد السيد أحمد علي نفسه في هذه المعركة.

حرب "مايار"

أقام السيد أحمد بـ "أمب" ونفذ نظام القضاء والاصلاح الاجتماعي، والخلقي، فعزم السلطان محمد خان على أن يخوض معركة حاسمة، فقاد جيشاً عظيماً، للدارانيين، ومر بـ "جمكني" ووصل إلى "حارسده" فتصدى له السيد أحمد مع رفقائه، ونصب خيمته ف ي"تورو" وحاول أن يمنع شيوخ "بشاور" عن الصراع الذاتي والحرب الأهلية، لكنهم لم يقدروا هذه العاطفة، والمساعي الجميلة،فحلف السلطان محمد خان، وأبناء أخيه وأخوه حاملين المصحف بأيديهم فمر الجيش بكامله من الباب الذي كان قد علق عليه المصحف، فنشب قتال عنيف بين "تورو" و "هوتي" في ميدان "مايار" واستولى الشيخ محمد إسماعيل والشيخ ولي محمد على المدافع. فانهزم الدرانيون وتراجعوا، وانتصر المجاهدون، وقد سجل المجاهدون في هذه المعركة آيات من البطولة، والثبات،

والجراءة، وقوة الإيمان، والانقياد والطاعة، والشوق إلى الآخرة، وشوهدت مناظرة لنصرة الله، جددت ذكريات القرن الأول.

فتح "بشاور

عمد السيد أحمد بعد النصر في حرب "مايار" إلى "بشاور" التي كانت نانية أهم المدن في الشمال الغربي بعد "لاهور" و كابل" وكانت عاصمة لولاية الثغور، ومركزها منذ القديم، وقد اقتضت الظروف الآن أن يتولى المجاهدون نظام هذه المنطقة وإدارتها مباشرة، فلما رأي سلطان محمد خان أن المجاهدين ينوون الاستيلاء على "بشاور" فخرج مع أفراد أسرته ورفقائه من "بشاور" وبدأ من هناك التراسل مع السيد أحمد، فلما دخل السيد أحمد في "بشاور" استقبله سكانها، وأبدوا سرورهم بقدومه، ورحبوابه، وأقاموا سقايات في الطريق، وأضاءوا المصابيح والقناديل ابتهاجاً بقدومه واحتفالاً به، وأظهر الجيش اقتداء بالجيوش الإسلامية في القرن الأولى، السيرة الإسلامية، والتربية الدينية، ومشاهد التقوى والورع، والزهد في الحياة، والأمانة، وعرض السلطان محمد خان الصلح، وعاهد على الطاعة ووعد حلفاً شرعياً، أنه إذا أعيدت "بشاور" إليه فإنه سينفذ النظام الشرعي، ويحول هذه البلاد إلى حكومة إسلامية، ولم يكن لدى السيد أحمد أي مانع في قبول هذا

العرض، لأنه لم يكن يطمع في الحكم، أو القوة، وإنما كان حريصاً على إقرار نظام إسلامي، وتنفيذ حكم شرعي، وكان ذلك هو الهدف الوحيد لهجرته لوطنه، ووصوله إلى هذه المنطقة النائية، ولم يكن لذلك يؤثر نفسه على أحد، فقبل عرضه، وأتاح له فرصة أخرى، فأعيدت "بشاور" إلى سلطان محمد خان، وعاد هو نفسه من "بشاور" إلى "بنجتار".

اغتيال العمال والقضاة

كان إقرار النظام الشرعي، وتعيين العمال ومحصلي الصدقة، وتنفيذ الأحكام الشرعية عقبة في سبيل رؤساء القبائل، وخاصة سلطان محمد خان، وعلماء السوء المغرضين، فلم تبق لهم فرصة لاستغلال الناس، وتحقيق أغراضهم، ومصالحهم المادية، فعزموا على إزالة هذه العقبة من طريقهم، والتخلص من هذه القيود.

ولم ينقض على تسلم "بشاور" إلا مدة يسيرة إلا ودبر السلطان محمد خان مؤامرة لتضليل الناس، وتشويه سمعة المجاهدين في عامة الناس وخاصتهم، ولتحقيق هذا الغرض أعدوا بياناً وقع عليه علماء السوء، أن السيد أحمد والمجاهدين فرقة ضالة ذات معتقدات وأفكار فاسدة، ثم أعدوا خطة لاغتيال العمال، والقضاة، والآمرين بالمعروف والناهين عى المنكر، والغزاة، ورجال

الحكومة الشرعية الذين كان السيد أحمد قد عينهم في سائر منطقة "بشاور" و "سمه" سوى "بنجتار" في آن واحد، وتمت هذه الخطة الخبيثة باغتيالهم فجأة بدون رأفة، وبوحشية، فقتل أحد أثناء الصلاة، وآخر أثناء لجوئه بالمسجد، منهم من قتل محارباً، ولم يقبلوا في ذلك شفاعة أحد من العلماء والسادة، وحتى النساء وغير المسلين للرحمة، فذبحوهم ذبح النعاج.

كانت هذه مأساة إنسانية، منقطعة النظير، وخسارة نخبة مختارة نشأت بعد عشرات السنين من التربية والتعليم، والتثقيف الطويل خلاصة بشرية نقية، تعلق بها الآمال، وجوهر الهند، ولبها يفنى في لمح من البصر.

الهجرة الثانية

تحطم قلب السيد أحمد بهذه المجزرة الوحشية التي تعرض لها رفقاؤه، وخيرة عماله، وقد أقلقه جفاء المحليين، ونكران الجميل، والظلم والوحشية التي أبدوها، فقرر الهجرة من هذا المكان، ولاستشارة رفقائه جمع العلماء والسادة في "بنجتار"، وأجرى تحقيقاً للمأساة، وذكر لهم أهاف قدومه ومجهوداته فلما تأكد أن رفقاءه كانوا أبرياء من هذه الجريمة، وأن السكان المحليين هم الذين لا يصفو ودهم، ولا تؤمن نواياهم، فعزم على الرحيل، فلما انتشر خبر هجرته،قلق له العلماء والسادة المحليون، وجماعة من المخلصين والرؤساء المتبعين الذين كانوا في

"بنجتار"، وحزنوا كثيراً، وتدفق الناس على السيد أحمد ليطلبوا منه إعادة النظر في قرارة، وأن لا يهاجر، لكنه لم يقبل طلبهم، لأنه كان يدري أن لفتح خان ورجال قبيلته يداً في خطة سلطان محمد خان، واغتيال العمال والقضاة، وأنه لم يقدم بنفسه أي طلب بإقامته في هذه المنطقة، بل إنه أيد هذا القرار سرياً، ولكن السيد أحمد لم ينتقم منه، بل عفا عنه وأعرض، وعامله معاملة الامتنان، والاعتراف بالجميل، وأنعم عليه بالهدايا، ولم يتزحزح في إرادته للهجرة، فسلم "بنجتار" إلى فتح خان، وأقام بـ "راج دواري" وجاء إليه في "سمه" في الطريق (حيث قتل القضاة، والغزاة، والمخلصون) رجال يلمتسون منه العودة، لكنه قال: "لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين".

إلى "كشمير"

اختار السيد الآن منطقة "كشير" لمواصلة أعماله، وحركاته الدعوية والجهادية، وتوجه إلى "كشمير" مع ما تبقي من الثروة البشرية معه، والمخلصين من الرفقاء، الذين عزموا على أن يرافقوه في ساعة العسرة، وفي حالة مريبة عسيرة، فلم يقبلوا أن يتركوه في أي حال، توجه إلى "كشمير" وهي واد واسع آمن، يتمتع بتحصنات طبيعة هائلة، تستطيع أن تستغلها قيادة واعية، ذات بصيرة لأغراضها، وتسطيع كذلك أن تؤثر منها على الهند من جهة، ومن جهة أخرى يمكن بها إنشاء علاقات وروابط مع تلك

الدول الإسلامية في آسيا الوسطى من الناحية العسكرية، والسلالية، والتي أنشأت في الماضي حكومات إسلامية قوية ذات شأن.

في "بالاكوت"

كانت إمارة رؤساء "بكهلي" و "وادي كاغان" ورجال المنطقة الآخرين، تتزحزح، وتتأرجح، إما بسبب هجمات السيخ، وإما بسبب الصراع الداخلي، والاضطراب الذاتي؛ فكانوا .... جميعاً يستنجدون السيد أحمد، وكانت إمارتهم تقع في الطريق إلى "كشيمر" التي كان السيد أحمد ينوي جعلها مركزاً له، وكانت هي هدف هجرته الثانية، ووجهته، فكانت "بالاكوت" أنسب محل لخدمة جميع هذه الأغراض من مساعدة من يطلب النجدة، وحمايتهم، والدعم العسكري، والتقدم إلى "كشمير" والاستعداد له، وكانت "بالاكوت" تقع على الناحية الجنوبية ل "وادي كاغان" وقد صد هذا الوادي في هذا المحل جدار جبلي، فليس هناك طريق سوى منفذ نهر "كنهار" ويقع الوادي بين جدارين جبليين متوازيين، يبلغ عرضه أقل من نصف ميل، ويجري في هذا المكان نهر "كنهار" ويقع في شرق "بالاكوت" تل "كالوخان" العالي، وفي غربها يقع تل "مني كوت".

كانت هذه الرحلة الثانية للهجرة كذلك شاقة ومتعبة، ومليئة بالخطر، وكانت قمم الجبال، والاودية مغطاة بالجليد من كل جانب، والطرق وعرة معقدة، ذات مرتفعات ومنحدرات، لا يوجد فيها أي سبيل لإرسال المؤن والحمل، فلم يكن هذا السفر إلا عبارة عن مغامرة عسيرة تدل على علو همته، وقوة ثباته وعزمه، ومثابرة رفقائه، وقوتهم الإيمانية وصبرهم وأناتهم، وتحمل كل مكرره في سبيل تحقيق هدفهم، فوصل السيد أحمد إلى "سجون" قادماً من "بنجتار" عابراً عدة أماكن شاقة ثم توجه منها إلى "بالاكوت" وغادر "سجون" في 5 من ذي القعدة 1246هـ (17 من أبريل 1831م) ودخل في "بالاكوت".

الحرب الأخيرة والشهادة

لما علم الأمير "شير سنكه" الذي عهد إليه والده مهاراجه "رنجيت سنكه" بأن يحارب المجاهدين حرباً نهائية حاسمة، أن السيد أحمد وغزاته يقيمون في "بالاكوت" فقاد جيشاً ضخماً للسيخ، وعسكر على بعد ثلاثة أميال تقريباً من "بالاكوت" على

الشاطئ الشرقي لنهر "كنهار" وبدأ هذا الجيش تدريجياً يدنو من "بالاكوت".

فلما اتضح أن جيش السيخ سيهاجم "بالاكوت" نازلاً عن "مني كوت" اتخذت إجراءات مؤثرة وحاسة لخوض المعركة المصيرية، وكان موقع البلد، ووضع ساحة القتال الطبيعي يلائمان المجاهدين.

كان الموقع الجغرافي ل "بالاكوت: مخيباً لشير سنكه؛ فأراد شير سنكه أن يعود يائساً خائباً، لكن السكان المحليين أرشدوه الطريق الجبلي الذي يؤدي إلى وادي "بالاكوت" الذي يقيم به السيد أحمد ورفقاؤه فوصل جيش شير سنكه إلى "مني كوت" في 24 من ذي القعدة 1246هـ (6/مايو 1831م) وأحاط بها من كل مكان كالسحاب، وهاجم جيش شير سنكه الغزاة نازلاً من "مني كوت" وكان السيد أحمد يتقدم رفقاءه والمجاهدون يتبعونه ، يمطر عليهم السيخ وابلا من الرصاص، فكبر السيد أحمد، وتقدم نحو الأعداء، فكان يمشي إليهم مشية الليث يهاجم كالضرغام على فريسته، وكان حجر ضخم بارزاً في حقل يرتفع طوله 25 أو 30 قدماً فجعله سداً بينه وبين أعدائه، وموقعاً لشن الغارة عليهم، فكان يوجه منه إليهم الطلقات النارية، فأصابت عدداً لا يحصى من الأعداء وقضت عليهم وأحدث ذلك ضجة في صفوف الأعداء،

أجبرتهم على التراجع، فبدأ العدو ينسحب، ويحل التلاع والجبال مخافة، وطاردهم المجاهدون إلى مخارم الجبل وجروهم بأقدامهم، وقتلوهم بسيوفهم.

في هذا الصخب واللجب، اختفى السيد أحمد، وأيقن المجاهدون أنه لقي ربه شهيداً، فجعلوا يبحثون عنه، وفي نفس الأثناء أصيب الشيخ محمد إسماعيل برصاصة في رأسه فقضى نحبه، واستشهد، وأدرك الأعداء أن المجاهدين قد زحزحوا وفقدوا أعصابهم بشهادة قادتهم، فشنوا هجوماً جديداً عليهم. وصوبوا إليهم بنادقهم، وواصلوا قصفهم بالنار، فسقط كثير من المجاهدين شهداء، وانقلب ظهر المجن، ورجحت كفة ميزان الحرب في صالحهم، وسقى الله كبار العلماء والمشايخ المجاهدين كأس الشهادة، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقضوا نحبهم، وبذلوا أرواحهم في سبيله، وسجلوا أروع أمثال البطولة والفداء، وما بدلوا تبديلاً، وقد استشهد في هذه التربة أكثر من ثلاث مأة مجاهد.

انتهى في هذه القطعة من أرض "بالاكوت" سفر تلك القافلة المباركة التي بدأ رحلتها السيد أحمد في 7/جمادي الآخرة 1241هـ (17/يناير 1826م) صباحاً، مع رفقائه من الغزاة المجاهدين من وطنه "رائي بريلي" فوصلت إلى غايتها النهائية في

24/من ذي القعدة 1246هـ (6/مايو 1831م) وضحى للوصول إليه بشعبيته، والإقبال عليه، ورجوع الناس إليه، وحبهم له، قطع في سبيلها الصحارى، والأودية، وعبر الأنهر، وتسلق الجبال، وقطع الغابات، والأوغال، وقاسى جفاء الدرانيين، وفتورهم، ونفورهم، وواجه الغدر والخيانة، والطغيان، والعصيان، وفي هذه المعركة التي جرت في "بالاكوت" شرب السيد أحمد، والشيخ محمد إسماعيل كأس الشهادة مع عدد كبير من أولئك الصالحين والأتقياء، الذين كانت قلوبهم تتدفق بمحبة الله، وتتوقد فيها جذوة الإيمان، والشوق إلى الشهادة، التي جعلت لهم أنفسهم وأموالهم هباء منثوراً، ورؤسهم وجلودهم عبأ عليهم.

أثر هذه الحركة الدعوية الإصلاحية

يقول العلامة السيد سليمان الندوي:

إنتشر خلفاء الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في سائر أجزاء الهند المعروفة، وقاموا بادعوة والإصلاح والتجديد، وإعداد النفوس يكافحون البدع والخرافات والتقاليد الباطلة، ففترت سوق الفسق والضلال، وتحول المسلمون الذين كانوا مسلمين لإنتمائهم إلى الأسر الإسلامية إلى مسلمين متمسكين بتعاليم الإسلام

وحسن إسلامهم، وكسرت زجاجات الخمر، وأقفلت حوانيت الخمر والمسكرات، ودور البغاء، وخرج الناس بعاطفة الإسلام والتضحية في سبيله من بيوتهم، وزواياهم لرفع كلمة الحق تأثرت بهم بيئة الهند كلها، وانغمس الناس في الجهاد، والدعوة والإرشاد،

ويقول:

إن هذه الحركة هزت الهند كلها، وخلقت جوهر الإخلاص والوحدة، والعاطفة الإسلامية التي عمت من حدود البنغال إلى نيبال وبنجاب"

وأرسل السيد الإمام أحمد بن عرفان خلفاءه إلى أفغانستان للقيام بغمل تربية الناس، ولإصلاح النفوس، وكان منهم الشيخ حبيب الله أحمد القندهاروي ، فتاب على يديه ألوف من الناس عن الذنوب والمعاصي، وصلحت أحوالهم، كما أرسل الإمام أحمد بن عرفان بعثة دعوية إلى "تبت" و"الصين" وبايعه عدد من علماء "جاوا" و"بلغاريا" و " المغرب" فبذلك إنتشرت دعوته وصلحت نفحاته إلى أقاصي الدنيا وأدانيها، كما صرح الشيخ أبوالحسن علي الحسني الندوي في كتابه" سيرة السيد أحمد الشهيد" بالأردية

يقول الأستاذ أبوالأعلى المودودي:

"إن هذه الحركة غيرت وجه الهند، وكل بقعة وقعت فيها أقدام رجالها حدث فيها انقلاب فكري وديني، يجدد ذكريات عهد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، " ويقول في موضع آخر:

"إن الإمام أحمد بن عرفان جدد عهد الخلافة الراشدة التي فتحها، وأقام فيها الحكم الإسلامي، وكانت حكومته على منهاج النبوة، "10

يقول الأستاذ واضح رشيد الندوي :إنتقل تأثير هذه الجماعة الخيرة الجامعة من جيل إلى جيل إلى هذا العصر ، وإذا تتبع باحث أي حركة علمية، أو إصلاحية في الهند توصل إلى جذورها التي استقت من حركة الإمام أحمد بن عرفان مباشرة أو من خلفائه، وخلفاء خلفائه من طريق أو آخر، سواء كانت حركة الجهاد، أو حركة التعليم والتربية، أو الدعوة والإصلاح" 11

(**10**) رجال الفكر والدعوة 18-19

(**11**) رجال الفكر والدعوة 20

شهداء بالاكوت يتكلمون!

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

ونعود إلى حديث بالاكوت فنقول:

لقد استشهد في معركة بالاكوت نفوس أبية زكية، كانت زينة الدنيا، وبركة الوجود، ومفخرة الإسلام، وشرف المسلمين، إن الرجولة والشهامة، والصدق والأمانة، والعفة والنزاهة، والورع والتقوى، والتمسك بالسنة، واتباع الشرع، والحمية الدينية، والبطولة الإسلامية التي كانت عصارة أزهار و ورود كثيرة، بل حدائق منوعة، وجنات مختلفة من هذه البلاد المترامية الأطراف الواسعة الأرجاء، وكانت تستطيع أن تصنع للمسلمين تاريخاً جديداً وتفتح

لهم عهداً زاهراً سعيداً، وقد تعطر الدنيا كلها بشذاها إذا قدر لها البقاء بعض الوقت، إنما أريقت على الأرض وضاعت في تراب "بالاكوت" في اليوم الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1246هـ وصار قيام الدولية الشرعية والحكم الإسلامي على منهاج النبوة والخلافة الراشدة حلماً بعيد المنال، أو ضرباً من الوهم والخيال.

إن أرض "بالاكوت" رويت بدماء طاهرة نقية لم يتلوث بالدنيا وأوضارها واعتزت وتجملت بشهداء لم نجد لهم نظيراً في القرون المتأخرة، في الاخلاص والربانية، والهمة والشهامة، والبطولة والاستقامة، والشجاعة والبسالة، وفي عاطفة الجهاد، وحب الشهادة، إن من يطأ اليوم هذه المنطقة الجبلية الوعرة بأقدامه، ويقطع هذه الوهاد والأنجاد لحاجة من حوائجه، وغرض من أغراضه، لا يستطيع أن يتصور ما ضم هذا الوادي في أحشائه من كنز ثمين من المحبين والشهداء، وما أخفى بين جوانحه، من ثروة غالية من إعلاء كلمة الله ومن الحب الخالص في سبيل الله.

لقد عاهدوا الله على أنهم سيجاهدون إلى آخر أنفاسهم ولحظات حياتهم، لإعلاء كلمته وإظهار دينه، ورفع رايته، وتنفيذ شريعته ونشر هديه ونوره ولو كره المشركون، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وظلوا يجاهدون بكل نشاط وحماس وشوق، لا يثني

همتهم شيئ حتى لفظوا نفسهم الأخير ووقعوا على وثيقة الحب والفداء بدماءهم السخية النقية،ويا له من توقيع، ولعل ليلة الخامس والعشرين من ذي القعدة كانت الليلة الأولى التي ناموا فيها نومة هادئة، وقد تحرروا من أثقال رؤوسهم، وأغلال أجسادهم، ويا له من تحرر!!!

إنهم رجعوا بعد أن حملوا أوسمة الشهادة على صدورهم إلى ربهم الكريم الذي لا يبالي بتحقيق الأماني وبلوغ الأهداف، ونتائج الكفاح، ولا يعاتب على الهزيمة والانكسار، ولا يحاسب على الإخفاق في إنشاء دولة وإقامة حكم ووضع نظام وتحرير بلاد، إنه ينظر فقط إلى شيئين اثنين.

الصدق والاخلاص، واستخدام الوسائل وبذل المجهود.

وقد تحقق أن شهداء "بالاكوت" لم يدخروا وسعاً في بذل أنفسهم وأموالهم واستخدام وسائلهم ومواهبهم، مخلصين صادقين، حتى نالوا شرف الدنيا والدين، وحظوا بالقبول عندالله وعند المسلمين.

إن تلك الدماء التي غابت في تراب "بالاكوت" بمرأى من الجميع فلم يبق منها عين ولا أثر، تلك الدماء التي لم نتجب دولة ولم تنشئ أمة، ولم تحقق حلما، أكبر وزناً وأكثر قيمة وأرفع منزلة

في ميزان العدل الإلهي من دول كبيرة وقوية، وامبراطوريات ضخمة، إن هؤلآء المجاهدين الفقراء الغرباء الذين ضحوا بأرواحهم في غير مواطنهم وبلادهم، وما وجدوا ميرة ولا مدداً، أشرف عند الله وأكرم عليه من أباطرة وملوك مستكبرين، حكموا امبراطوريات وأنشأوا حكومات، والذين قال الله عنهم: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة.

مما لا شك فيه أن دماء شهداع "بالاكوت" لم تحدث تغييراً في خريطة العالم السياسية والجغرافية وإن هذا الخط الدقيق من الدم الذي فاض في زاوية صغيرة من الأرض لم يجد مكاناً في الأطلس الطبيعي ولا في التاريخ السياسي،ولكن من يدري ما هي مكانتها في سجل القضاء والقدر، وما هي حرمتها عند المليك المقتدر؟ وكم غسلت من وصمات عار! ولوثات إدبار! عن طالع المسلمين، وكانت سبباً في إجراء أحكام ومحو أخرى عندالله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، فليس من المستغرب إذا هي آذنت لدولة قوية عتيدة بالأفول والزوال، وقضت لشعب متأخر فقير بالانتصار والازدهار، فطلع بها نجم،وأفل بها بها نجم، وليس ببعيد إذا هي حولت المستحيلات، وكذبت القياسات

والتخمينات، إن كل ذلك في علم الله، وليس بمقدور بشر أن يستعرض آثار هذه الدماء في مسيرة الزمن بمجرد العقل الذكاء.

إن كل شيهد من شهداء "بالاكوت" ينطق ويقول: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) إنهم يقولون بلسان حالهم، إننا جاهدنا ليجد المسلمون فرصة طيبة وجواً صالحاً يقيمون فيه شعائر الله ويمثلون فيه الحياة الإسلامية أصدق تمثيل، ويتمكنون من تحكيم شرعه واجراء أحكامه وحدوده على عباده وفي بلاده، ويقدمون نموذجاً مثالياً حياً للمجتمع الإسلامي، يكسبون به للإسلام أعواناً وأنصاراً، ويقيمون به على صلاحيته وخلوده دليلاً وبرهاناً، مجتمع إسلامي حر لا تسيطر عليه النفس، ولا يقوده الشيطان، ولا يستبد به حاكم أو سلطان، ولا تتحكم فيه التقاليد والعادات الجاهلية (ويكون الدين كله لله) مجتمع يفتح أبوابه على مصاريعها للطاعة والعبادة، والبر والتقوى، ويسدها على الفسق والفجور، والمصية والعدوان، تطبيقاً للآية: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر).

لقد قدر الله لنا الشهادة في سبيله والفوز بمرضاته مقابل تحقيق هذه الأمينة الغالية والفوز والنجاح في الدنيا، ونحن بقضاء

الله راضون، وبحكمه مرتاحون، وبنعمته فرحون، فإذا قدر الله لكم فرصة لإعادة الحياة الإسلامية وإقامة المجتمع الإسلامي في أي دور من أدوار التاريخ، ووجدتم جواً حراً لتطبيق الشريعة الإسلامية، ولم تحل بينكم وبين إقامة شرع الله وإعادة حكم الله، دولة دخيلة أو غاصب أجنبي ثم انسحبتم عت الميدان وتخليتم عن هذا الواجب ووليتم على أعقابكم مدبرين، ورميتم تلك الشروط والصفات والخصائص والسمات التي امتاز بها المهاجرون والمستضعفون في عهد نهضتهم واستعلائهم وتمكينهم في الأرض عرض الحائط كان ذلك نكراناً للجيل،وجحوداً بالفضل،وكفراً بالنعمة ونقض عهد وإخلاف وعد قد يندر نظيره في التاريخ.

إن دماءنا التي أهرقناها بسخاء في ساحات الوغى ومعارك الفداء، وفي مشهد "بالاكوت" في آخر المطاف توقيعات ووثائق على جهادنا وشهادتنا، فهذه المنطقة كلها مقبرة الشهداء، أما أنتم فقد نلتم بمحاولة بسيطة حيناً، وبجرة قلم بعض الحين مساحات واسعة شاسعة، جميلة خضراء من الأرض، بل ورثتم بعض الأحيان دولاً عظيمة مرهوبة الجانب (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فإن لم تنتهزوا هذه الفرصة السانحة وجعلتم هذه الحرية وهذا الانتقال مطية لأغراضكم وأداة لتحقيق

شهواتكم، ولم تقيموا حكم الله وشريعة الإسلام على نفوسكم وعشيرتكم، وعلى شعبكم، وأصبحت دولكم وحكوماتكم لا تختلف عن الدول الأجنبية، والحكومات العلمانية المادية، في الحضارة والمدينة، والتشريع والقانون، وأصبح حكامكم لا يختلفون عن هؤلآء الحكام في الأخلاق والسيرة، والثقافة والتربية، لم يبق عندكم عذر أمام شعوب العالم التي كنتم معها في صراع باسم الإسلام، وأمام الله العليم الخبير يوم يقوم الأشهاد، حيث تحاسبون على كل صغير وكبير.

لقد أتاح الله لكم فرصة لم نتمتع بها، فرصة ذهبية لا يجود بها الزمان إلا نادراً، فرصة تعاقب لها الليل والنهار: وقلب لها التاريخ الإسلامي آلاف الصفحات، وعاش في آمالها المعسولة وأحلامها اللذيذة عدد لا يحصى من النفوس المؤمنة الزكية، وأصحاب الطموح والهمة، والغيرة والحمية، وفارقوا هذه الدنيا قبل أن يبلغوا مناهم ويرووا غلتهم، فإذا ضيعتم هذه الفرصة الغالية، فرصة تمثيل الحياة الإسلامية الجميلة، بأجمل صورها وأوروع معانيها، وأوضح أشكالها، كان ذلك مأساة رهيبة في التاريخ، وكارثة أليمة تقصم الظهور، وتقلع الأمل من القلوب والصدور.

إن هؤلآء الشهداء الذين ينامون نومة هادئة وادعة في زاوية صغيرة في هذه القرية الجبلية البعيدة "بالاكوت" يتحدثون اليوم إلى شعوب إسلامية نالت الحرية، ونعمت بالاستقلال وملكت زمام القيادة ويقولون:

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)

سر عبقرية الإمام

للأستاذ محمد الحسني رحمه الله

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره

هو المسك ما كررته يتضوع

رجل عظيم حقاً لا يمكن أن ينساه الشعب الهندي ويستهين بقيمته التاريخ الإسلامي بما قام به من أعمال جليلة، ومآثر خالدة، ومواقف رائعه في ميدان الدعوة والجهاد، ولكن ما هو السر في عظمته وشموخه وما هذا الشيئ الذي رفع منزلة هذا الشباب بين أعلام الهند، هل هو العلم؟ إنه لم يتخرج من مدرسة، هل هي المجاهدة والرياضة التي أو صلته إلى هذا المكان؟ لا أبداً، كان حوله جمع كبير من الصوفية والمشايخ ومن يفوقه في العلم كثيراً، قد قضوا حياتهم كلها في المجاهدة، هل هي الشجاعة والبطولة لقد كان هناك أبطال في كل ناحية من نواحي الحياة، أبطال في الفن، وأبطال في الحرب، قد سبقوا الشيخ ولي الله

الدهلوي مع أسرته الدينية الشريفة تخدم العلم والدين، كان هنان أئمة في المنطق والكلام وأئمة في الشعر وأئمة في التصوف كان القرآن وكان الحديث، إذن فما هو سر عبقريته وما هو مفتاح شخصيته العظيمة؟ كان القرآن يدرس ككتات قديم قد مثل دوره وقضى حياته، جل همتهم تأويل الآيات والمناقشة حول المشتبهات، أما رسالته إلى المسلمين والعالم فلا حديث عنها ولا مكانة لها في حياتهم، كان الحديث يدرس في بعض الأوساط لكنه كان كتات الفقة والتشريع، أما غايته الأصيلة وهي إنشاء مجتمع إسلامي نظيف صالح أمين متكافل قوي برئ من كل معاني الشر والعدوان، متخلق بأخلاق الله فقد نسوها وتناسوها.

وهذا هو السبب أننا نرى أموراً غير شرعية وبدعات تتسرب إلى بعض البيوتات الدينية العريقة وأوساط العلم والدين فلا يدفعونها ولا يكرمونها ونرى بعض العلما الكبار قد اختاروا بعض الشعائر غير الإسلامية من غير أن يبحثوا عن حكم الشريعة فيها ذلك بأن فكرتهم –ولا مؤاخذة – قد تفلسفت وتعقدت إنهم نظروا إلى القرآن كمصدر الخير ومنبع الحكمة، أما من ناحية كتاب يأمر وينهى ويحكم على الحياة ويعطي مبادئ قويمة المفرد والاجتماع ويطلب الكفاح والعمل في سبيل الله والإسلام،

ولمصلحة الإنسانية وسعادتها، فقد تغافلوا عنها مع أن القرآن قد أنزل للعمل به وتطبيقه على الحياة لا للبحث والتدقيق والرغبة عت دعوته ورسالته إلى البشر، إنهم لم ينكروا أبداً هذه الناحية المهمة التي هي غاية القرآن ولكن هذه الفكرة التي تأثرت بالفلسفة والكلام —والهوة بين الفلسفة والحياة معلومة — لم يسمحهم بأن يقرأوا القرآن كأنه ينزل عليهم.

قام هذا الرجل في وسط هذا الجو، وإذن تحققت تلك المعجزة الكبيرة، كانت البدعات وكان بعض الوهن يوجد في بيوتات العلم والدين مع المكتبات الضخمة التأليفات النافعة والتفاسير أما في حياة هذا الشباب فلا يوجد تعقيد ولا التواء ولا ضعف ولا انحراف عن جادة الإسلام مع أنه لم يتعمق في العلوم ولم يقم بالرياضات الشاقة كما فعل كبار هذا العصر، أي شيئ هذا؟ إنه أغلق تلك النافذة التي يدخل منها الذباب أما هؤلآء فقد سدوا جميع النوافذ، أماهذه النافذة التي كانت أحرى بأن تغلق فقد نسوها.

كان رجلاً عملياً لم تلطخ فكرته بآراء الفلسفة والكلاة وبساطته وسلامة صدره تشبه كثيراً ببساطة هؤلاء العرب الذين آمنوا بالله ورسوله وبايعوا محمداً صلى الله عليه وسلم، إنه نظر إلى

القرآن ككتاب حياة وحكم وعمل، وكأنه خوطب به شخصياً وكلف بالقيام به وكأنه أنزل في هذا العصر لا في عصر قبله يشكو منه أنه مظلوم رغم محبيه ومهجور رغم أصدقائه، كان هذا هو المفتاح كانت هذه هي العصا السحرية كان هذا هو الأكسير ومثالاً لذلك نقول: قرأتم قصة مصباح علاء الدين، مصباح علاء الدين ما كان في حاجة إلى الإضاءة، وما كان في حاجة إلى أن يوضع في الطاقات والقصور، وكان يحتاج إلى مجرد فرك على الأرض حتى يحضر الجني، والقرآن في ذلك هو المصباح الكامل إنه ليس في حاجة إلى مجرد بحث وتفكير إنه يحتاج إلى العمل والتنفيذ حتى تنحل الأزمة وتحل المشكلة ويرضى الله وكان ملك هذا المصباح العجيب وعرف سر استخدامه وكان هذا الإيمان قد تغلغل في أحشائه وتملك مشاعره، إذا رأى في القرآن موضع وعيد بكى وإذا مر على وعد استبشر، إذا رأى آية تحث على العمل والنضال شمر عن ساق الجد، وإذا رأى آية تحث على العبادة رأه الناس يتعبد في جوف الليل ويناجي ربه.

وبهذه الطبيعة العملية التي تنفر عن الكلام الفارغ وبهذا الإيمان المتغلغل في أحشائه المسيطر على ميوله ونزعاته، وبهذه الصلة الوثيقة بالله نجح في هذا الميدان الذي تخلف عنه كثير من

الناس، إنه أنشأ جيلاً جديداً متحرراً من كل أدواء العصر، متحرراً في العمل، متحرراً في الفكر، كان جيلاً وليداً بريئاً من رواسب العهد الماضي، إنه أنشأ أمة ضخمة تنتشر في طول البلاد وعرضها، أمة نظيفة الجسم والروح، نظيفة الفكر والعمل، أنشأ مجتمعاً مثالياً في كل شأن من شئون الحضارة، أميناً صادقاً متكافلاً تسوده روح الرحمة والحب والسلام.

كان هذا الجيل وهذه الأمة وهذا المجتمع عملياً كقائد يتبع الله ورسوله في كل ناحية من نواحي الحياة وكان متدفقاً بالإيمان، والإيمان مصدر المعجزات، وهذا الإيمان كان يسهل عليه كل عقبة ويهون عليه كل خطر.

هذه الحياة الإسلامية التي قد انقطعت منذ زمن طويل قامت من جديد بكل روعتها وجمالها لأنها أنشئت على أساس مكين من الإيمان واليقين هما سر القوة في الأمة الإسلامية.

حياة هذا الداعية حياة ذات نواح مختلفة تأثيره الفذ في الناس في تربية الحكمية المتقنة، إيمانه الراسخ بالغيب، جهاده في الإسلام، اتباعه للسنة كل منها في حاجة إلى أحاديث متوالية وكتاب جامع، ولكن الأهم من ذلك هي قوته العملية وإيمانه بالله، وهذا هو الشيئ الوحيد الذي حققت هذه المعجزة الكبرى في بلاد

الهند، والمزية الأولى التي تميزه من القادة الآخرين، إنه عرف أن طبيعة الأمة الإسلامية طبيعة عملية والإسلام لا يحب الكلام الفارغ، ومن هذه المواد الخام من البشر الذي يئس منه المصلحون تكونت أمة لم يعرف الناس في الهند أصلح منها ولا أقوى ولا أنفع للبلاد، إنه عرف أن الإسلام لا يحتاج إلى المحامين ليدافعوا عنه، ولا إلى الحكماء ليفسروه ويكشفوا أسراره إنها هو في حاجة إلى رجال عاملين.

مضى ولكن خلف عبرة، مات ولن تموت ذكراه أبداً، كان منارة ضوء للأجيال القادمة وموضع فخر وغبطة في البلاد الهندية.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أشهر رفقاء الإم وقيادات الحركة
الشيخ عبد الحي البرهانوي

الداعية المفوه والمجاهد الكبير

وكان من رواد هذه الحركة القوية التي هزت الهند وهبت بوجودها ريح الإيمان حركة الإمامين الشهيدين السيد أحمد وإسماعيل الدهلوي: الإمام العلامة الشيخ عبد الحي البرهانوي الداعية المفوه المجاهد الكبير،وله دور فعال ملموس في الحركة،والدعوة والإصلاح،

مولده ونشأته: هو الشيخ الإمام الكبير العلامة عبدالحي بن هبة الله بن نور الله الصديقي البرهانوي أحد العلماء المشهورين وعباد الله الصالحين، ولد بقرية برهانة، ونشأ بها ودخل دهلي فلازم الشيخ عبدالقادر بن ولي الله الدهلوي وقرأ عليه الكتب المدرسية وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي وانتفع به نفعا عظيما، وكان الشيخ عبدالعزيز يحبه حبا مفرطا لأن عمته كانت في بيت الشيخ عبدالعزيز رحمه الله، ولأن الشيخ عبدالعزيز قرأ الفقه على جده نور الله،ومن هنالك تربى الشيخ عبدالحي على أيدي

هذه الأسرة المباركة التى كانت منارا للعلم والدعوة والجهاد والتجديد والإصلاح، فتفجرت ينابيع كفاءاته العلمية حتى استطاع أن يؤدي دورا ممتازا في كبرى الحركات الإصلاحية والدعوية.

وصفه وأعماله : وكان الشيخ عبدالحي رحمه الله مفرط الذكاء قوي الحفظ شديد الإشتغال بالبحث والمطالعة،وحلو الكلام وفصيح المنطق، درس وأفاد مدة بدلهي، ثم لازم الإمام المجاهد السيد أحمد بن عرفان الشهيد وأخذ عنه الطريقة، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار البيت في العصر الذي أفتى العلماء الجهال الذين سولت لهم أنفسهم باسقاط فريضة الحج، وفي سفره إلى الحجاز عرب "الصراط المستقيم لأهل الحرمين الشريفين، وبعث إليه القاضي محمد بن علي الشوكاني بعض مصنفاته مع الإجازة العامة لمروياته، ثم رجع إلى الهند مع الإمام الشهيد، وقام بالجولات الدعوية وساح البلاد والقرى بأمره سنتين، فانتفع به عدد كبير وخلق لا يحصى بحد وعد، ثم سافر إلى خراسان سنة إحدى وأربعين للجهاد في سبيل الله عزوجل، وتوفي بها عن حياة عامرة بالدعوة والإصلاح والجهاد والكفاح، وكانت آخر كلمة رطب بها لسانه " اللهم الحقني بالرفيق الأعلى"

وكان للشيخ دور ملموس فعال وجهود مشكورة في حركة الدعوة والإصلاح، حينما يخطب ويلقي المواعظ ترق له القلوب الجافة المستعصية ، وترجع إلى الله بتوبة نصوح، وكم تاب على يديه الفجار الأشرار، وكم سعدت قلوب جافة بعيدة عن خالقها وبارئها بالرجوع والإنابة والتضرع إلى الله، وكم نال المتعطشون الماء الزلال البارد ونهلوا من مورده العلمي الكريم، فلله دره !

قال محسن بن يحي الترهتي في "اليانع الجني" : إنه كان من أحسنهم (يعني أصحاب الشيخ عبدالعزيز) خبرة بالفقه وأمرسهم بالكتب المدرسية، رأيت له رسالة في حث الناس على تزويج أياماهم وردعهم عن استقباح ذلك"

كتب الشيخ على هذا الموضوع وخطب لأن نكاح الأيامى كان مستقبحا مهجورا في ذلك العصر، بل هوالذي أول من قام بالرد عليه قولا وعملا،تزوج أيما في حين كان نكاح الأيامى مما يستقبحه الناس ويتنفرون عنه لتأثرهم بالطقوس والعادات الهندوسية الشائنة القبيحة،وبجهوده جرت العادة بذلك بعده، وسد باب هذالظلم الفظيع على المرأة،

وللشيخ عبدالحي مصنفات ومؤلفات غير ما ذكره، منها بابان من كتاب "الصراط المستقيم" باللغة الفارسية في السلوك على طريق الولاية، ومنها تعريب "الصراط المستقيم" ومنها رسالة في حكاية المناظرة ،ومنها فتاوي كثيرة مشهورة لا يحويها الدفاتر،

يقول الشيخ عبدالحي الحسني : وكان الشيخ آية من آيات الله سبحانه في التقوى والعمل وتأثير الوعظ وقلة العمل وايثار القناعة في الملبس والمأكل، كثير الصمت شديد التوكل جليل الوقار، محبا للسنة السنية مبتعدا عن الرسوم والبدع، قد غشيه نور الإيمان وسيما الصالحين، يغضب إذا مدح ويستبشر إذا نصح، والقلم يعثر في المدح لعدم إمكان الإحاطة به،

وفاته: لقد فاضت روحه الطاهرة إلى ربه راضية مرضية إن شاء الله في شهر شعبان سنة ثلاث وأربعين ومأتين وألف بقرية "خارا" من خراسان ودفن بها عن حياة عامرة بالدعوة والجهاد والإصلاح والإرشاد.

الإمام إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي الشهيد

إمام الدعوة والإصلاح وقائد الجهاد والكفاح

وإن العصر الذي واجهه الإمام الشهيد كثر فيه البدع والخرافات والبعد عن الدين، وهوعصر الجمود الفكري والجدب العلمي، ومع ذلك قل الإعتناء فيه بكتاب الله وبالحديث النبوي والسنة الشريفة لدى علماء ذلك العصر، وكانوا يعتنون بكتب الفلسفة والمنطق والفقه، ويهمهم التعصب المذهبي الشديد في الفروعات، ويدرس تعاليم الاسلام وفق المصطلحات الفلسفية والفقهية والمذاهب الكلامية على حساب التدبر في الكتاب والسنة، وأما العامة فتفرق بهم العلماء السوء والصوفية الجهال في متاهات الضلال والجهل، فكانوا لايعرفون عن الإسلام إلا إسمه ولا عن الدين إلا رسمه، وقد وصل المسلمون إلى أحط الدركات في السياسة والدين،

فكان في دلهي عاصمة الهند أسرة الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي بقيت مثل "منارة ممسى راهب متبتل" تهتف بالدين الخالص والرجوع إلى الكتاب والسنة، وتبذل قصارى جهدها في الذب عن حوزة الإسلام والدفاع عن الدين، وتنشر ما

في الكتاب والسنة، ومن جهود هذه الأسرة الطيبة الكريمة وتخطيط الإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ظهرت كبرى الحركات الإسلامية من التفكير والتنظير إلى حيز الواقع والتطبيق، وذلك على يد الإمام السيد أحمد الشهيد والإمام إسماعيل الدهلوي الشهيد، واشتهرت هذه الحركة "بحركة الشهيدين"

إسمه ومولده ونشأته: هوالشيخ العالم الكبير العلامة المجاهد القائد الباسل المغوار الشهيد إسماعيل بن عبدالغني بن الإمام الهمام المجدد المصلح ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي العمري أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين، ولد بدلهي لاثني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومأة وألف،

وتوفي والده في صباه فتربى في رعاية عمه الشيخ عبدالقادر بن ولي الله الدهلوي وقرأ عليه الكتب المدرسية، واستفاد من عمه الشيخ رفيع الدين والشيخ المحدث سراج الهند عبدالعزيز الدهلوي أيضا ولازمهم مدة طويلة وصار بحرا زاخرا في المعقول والمنقول، ثم لازم الإمام السيد المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد إلى أن نال الشهادة في سبيل الله معه، أخذ عنه الطريقة وسافر معه إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار ورجع معه إلى الهند،

مواقف وبطولات من سيرته: كان الإمام إسماعيل الدهلوي داعية موفقا وإماما مصلحا ومجاهدا باسلا، صدع بالحق وإحياء السنة والرجوع إلى طريقة السلف بكل قوة وصراحة، وأحيا معني التوحيد الخالص في مجتمع مولع بالشركيات والخرافات، ووجه خطابات صريحة إلى كل من العامة وأهل البلاط الملكي، وكان لا يبالى في الله لومة لائم ولايخاف ولايحابي ولايداهن، ولأجل ذلك طعن فيه القبوريون والمبتدعون، فإن دعوته وخطاباته وكتاباته كانت سهما مسددا إلى كبد الشركيات والبدع والخرافات وجهليات ذلك الزمن ونعي لها، لقد قام الشيخ بالجولات الدعوية مع الإمام المجاهد السيد أحمد الشهيد ، وساح القرى والبلاد بأمره سنتين داعيا إلى الله، فانتفع به خلق لايحصى بحد وعد، وكان كالوزير للإمام القائد يجهز الجيوش ويقتحم المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد في معركة "بالاكوت" ،

يقول الشيخ السيد عبد الحي الحسني والد الشيخ أبوالحسن الندوي رحمهما الله في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" في وصفه : وكان نادرة من نوادر الزمان وبديعة من بدائعه الحسان مقبلا إلى الله بقلبه وقالبه مشتغلا بالافادة والعبادة مع تواضع وحسن أخلاق وكرم وعفاف وشهامة نفس، وصلابة دين ،

وحسن محاضرة وقوة عارضة، وفصاحة ورجاحة، فإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار، ويجمع بين الضب والنون، فلا يفارقه إلا وهو عنه راض، وقد وقع مع أهل عصره قلاقل وزلازل وصار أمره أحدوثة، وجرت فتن عديدة في حياته وبعد مماته، والناس قسمان في شأنه، فبعضهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويتعصب له كما يتعصب عليه القسم الأول، وهذه قاعدة مطردة في كل من يفوق أهل عصره في أمره"12

وكان خلد رحمه الله مؤلفات نافعة مع جهوده الدعوية والإصلاحية والجهادية الكفاحية التي تجدر أن تكتب برحيق الأرواح، وله روائع وبطولات بقيت غرة مرموقة على جبين التاريخ، وكان يحب الرياضة والخشونة في العيش والإقتصاد في المأكل والمشرب والتقشف في الحياة والجلادة والشهامة والبطولة والقوة، يكتب ويؤلف، يخطب ويصلح، ويتدرب على الجهاد والكفاح،

(**12**) (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام)

ويجهز نفسه لأقصى أمنيته للشهادة في سبيل الله، لقد قضى نحبه مصلحا وداعيا ربانيا صادقا، صادقا مع نفسه،،، صادقا مع ربه ،،، صادقا مع قومه،

وأما أشهر مصنفاته فهي عديدة :

1. "الصراط المستقيم" باللغة الفارسية جمع فيه ما صح عن شيخه السيد الإمام أحمد الشهيد
2. "إيضاح الحق الصريح في القبر والضريح" في بيان حقيقة السنة والبدعة
3. "منصب إمامت" في تخصيص منصب النبوة والإمامة، وهو كتاب فريد في موضوعه ومما لم يسبق إليه
4. رسالة في بحث إمكان النظير وامتناع النظير" وكلها بالفارسية
5. مختصر في أصول الفقه باللغة العربية
6. رسالة بالعربية في رد الإشراك والبدع مرتبة على بابين
7. "تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" بالعربية
8. " تقوية الإيمان "كتاب مشهور في بيان التوحيد وهو ترجمة الباب الأول من رسالة في رد الإشراك، وقد نقل

هـذا الكتـاب مـن الأرديـة إلى العربيـة سماحـة الشـيخ أبوالحسن النـدوي رحمه الله وأسما "رسالة التوحيد" وقال الشيخ أبوالحسن الندوي: "وقد اطلع عليه أحد الأساتذة السعوديين فقال: هذا منجنيق التوحيد" (13)

وهذا كتاب له دور كبير في إحياء التوحيد ومحو البدع والخرافات والرد على القبوريين والمبتدعين، وله مختارات عديدة في المسائل الفقهية تدل على سعة اطلاعه وعمق فهمه ونظره الإجتهادي، ذكرها الشيخ السيد عبد الحي الحسني والد الشيخ أبوالحسن الندوي رحمهما الله في "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"

قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في "اليانع الجني" : إنه كان أشدهم في دين الله وأحفظهم للسنة، يغضب لها ويندب إليها، ويشنع على البدع وأهلها،

وقال السيد الشيخ المحدث المشهور صديق حسن القنوجي في كتابه " ألحطة بذكر الصحاح الستة" في ذكرالشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي أن ابن ابنه محمد إسماعيل الشهيد اقتفى أثر جده

(**13**) (ترجمة الإمام السيد أحمد الشهيد 40)

في قوله وفعله جميعا، وتمم ما ابتداه جده وأدى ما كان عليه، وبقى ما كان له، والله تعالى مجازيه على صوالح الأعمال، وقواطع الأقوال وصحاح الأحوال، لم يكن ليخترع طريقا جديدا في الإسلام كما يزعم الجهال، وقد قال تعالى: وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون"

وطريقة هذا مذهب حنفي وشرعة حق مضى عليها السلف والخلف الصلحاء من العجم والعرب العرباء، ولم يختلف فيه إثنان ممن قلبه مطمئن بالإيمان، كما لا يخفى على من مارس كتب الدين وصحب أهل الإيقان، كيف وقد ثبت في محله أن الرجل العامل بظواهر الكتاب وواضحات السنة أو بقول إمام آخر غير إمامه الذي لا يقلده لايخرج عن كونه متمذهبا بمذهب إمامه، كما يعتقده جهلة المتفقه ويتفوه بها الفقهاء المتقشفة من أهل الزمان المحرومين من حلاوة الإيمان، وهو رحمه الله تعالى أحيا كثيرا من السنن المماتات وأمات عظيما من الإشراك والمحدثات، حتى نال درجة الشهادة العليا، وفاز من بين أقرانه بالقدح المعلى، وبلغ منتهى أمله وأقصى أجله، ولكن أعداء الله ورسوله تعصبوا في شأنه وشأن أتباعه وأقرانه"

هذا غيض من فيض مما قاله العلماء العظام، وفي الحقيقة أن الإمام إسماعيل الدهلوي كان عبقريا نادرا فذا وعملاقا في فكره وعقله ومجاهدا كبيرا في دعوته وجهاده وداعيا مفوها موفقا، قدر الله له النجاح على درب الدعوة والإصلاح، وله صدى وأثر ملموس ودور فعال بارز في مجال الإصلاح وترشيد الصحوة الإسلامية، ودورعظيم في كبرى الحركات الإسلامية في الهند،

ونال الشهادة في سبيل الله لست ليال بقين من ذي القعدة سنة ست وأربعين وألف بمعركة "بالا كوت"

"رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر"

الشيخ الداعية كرامت على الجونفوري

الشيخ الصالح والمصلح الكبير كرامت على بن الشيخ إمام بخش بن جار الله بن جل محمد بن محمد دائم الصديقي الحنفي الجونفوري، وكان إسم والده "على " ثم أضيف إلى اسمه "كرامت" من أجل كراماته التي تواترت عنه وتسلسلت أثناء عمل الدعوة وهداية الناس كما يصرح به العلماء والكتاب عن سيرته الذاتية،وكان الشيخ كرامت على من كبار علماء وفقهاء الحنفية ، ومن الدعاة والمصلحين الذين وفقوا إلى خدمة الدين الحنيف ،

مولده ونشأته: ولد الشيخ كرامت على سبع عشرة خلون من المحرم سنة خمس عشرة ومأتين وألف في مدينة جونفور الشهيرة، وقد أخذ الشيخ عن والده في صباه مثل ما جرت عليه العادة من تعلم الأبناء من الآباء، وهو من محبي الإمام القائد احمد بن عرفان الشهيد، كما قرأ بعض الكتب المدرسية على الشيخ أحمد الجرياكوتي، وعلى الشيخ أحمد الله الأنامي، وعلى الشيخ قدرة الله الردولوي، ومن هنالك أخذ الشاب الناهض المتدفق من العلماء الأجلة وتلمذ عليهم، ولكن ما اقتنعت نفسه التواقة وهمته العالية حتى ارتحل إلى دلهي مركز العلوم ومهد الحضارة للإستفادة من

الشيخ الإمام عبد العزيز الدهلوي ، ثم عاد إلى وطنه، وسافر إلى رائي بريلي مقراحمد بن عرفان الشهيد،فبايعه ولازمه مدة، وحينما سافر إلى الحرمين وحج أخذ القراءة عن عن السيد إبراهيم المدني والسيد محمد الإسكندراني،

أعماله ونشاطاته: إن الشيخ كرامت علي بعد بيعته الإمام القائد مقراحمد بن عرفان الشهيد وملازمته إنضم إلى موكب الدعوة والحركة والإصلاح والجهاد، وأدى مسؤليته على أحسن ما يرام،يقول الشيخ المؤرخ عبدالحي الحسني في كتابه: الإعلام بمن في تارخ الهند من الأعلام: "عهد إليه السيد بالدعوة إلى الدين والشرع والإصلاح، وبشره بها، فسافر إلى "بنغاله" (وهي الآن بنغلاديش) ودار البلاد للإرشاد، وكان الناس بدوا أميين بعداء عن المدنية والحضارة، لا يلبسون من الثياب إلا ما يسترون به عوراتهم، وكانت النساء سابرات الوجوه لا يحتجبن،ولا يمتاز المسلمون عن الوثنيين في العادات والتقاليد والشعائر حتى في الأسماء ، وكانوا يفرون من أهل الحضر،ويستوحشون من المصلحين، فلم يزل يفتل في غاربهم يتلطف بهم حتى استأنسوا به واجتمعوا لديه، فأرشدهم إلى الحق ، وهداهم إلى الدين الخالص، وعلمهم وهذبهم،وأصبح نافذ الكلمة فيهم، يعظمه الناس،ويتلقون إشاراته بالقبول،وتغلغلت دعوته في

أحشـــاء الـــبلاد، وأوغلـــت في أوديتهـــا وجبالها،وقراهـــا وأمصارها،واهتدى به خلائق تعد بمآت الألوف" 14

وكان الشيخ قبل رحلته إلى بنغاله مشتغلا بالدعوة والإصلاح في مولده مدينة جونفور، بذل جهده المستطاع في الدعوة والإصلاح، ونشر التعليم الديني، أقام الجمعة في المساجد، وكان في جونفور لا يؤذن إلا في وقتين : المغرب والصبح، لجهالة فاشية بين الناس، فحث المسلمين على الآذان لجميع الصلوات المكتوبة، وفرق بين الحضارة الإسلامية والهندوسية، ورد على الشركيات والبدع والمنكرات، وأزال الوثنية من بيوت المسلمين،ورسخ في قلوب الناس الإيمان وحب الإسلام وشعائر الدين، وكان الشيخ لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالى العداوة والبغضاء في سبيل الله من أي جهة كانت، حتى تآمر الناس على إغتياله ولكن باءت مكايدهم بالفشل أخيرا،

يقول العلامة الشيخ السيد أبوالحسن على الندوي رحمه الله: "إن الشيخ كرامت على الجونفوري اتخذ بإرشاد من الإمام (السيد أحمد بن عرفان الشهيد) وأمره منطقة بنغال الشرقية مجالا لجهوده

(14) (الإعلام بمن في تارخ الهند من الأعلام المجلد السابع)

الإصلاحية والدعوية ، وحقق فيها نجاحا باهرا عظيما لايتفق إلا بتأييد من الله ونصره لعباده المخلصين من الدعاة والمصلحين، وقد سمعت أذناى الامير بهادر جنك أحد كبار القادة والخطباء في الهند قبل التقسيم وهو يخطب:إن عددا المستفيدين والمسترشدين والذين صلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم،واهتدوا على أيدي الشيخ الجونفوري يبلغ حسب علمي إلى عشرين مليون من البشر" (15)

وكان الشيخ رحمه الله قواما ذاكرا،دائما الوضوء، صابرا محتسبا قنوعا،يجود بالمال لغيره، ولا يدخر لنفسه ، حريصا على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته وكلمة الإسلام النافذة على الأرجاء، وكان قوي الجسم، فارسا شجاعا، مقداما باسلا،وكان يحب اقتحام المعارك مع الإمام القائد أحمد بن عرفان الشهيد، ومع الرغبة الشديدة للجهاد والشهادة في سبيل الله رجع إلى وطنه امتثالا بأمر القائد والأمير للقيام بعمل الدعوة والإصلاح والتوجيه والإرشاد، فقام بذلك أحسن قيام، وتوجه كذالك بأمر شيخه للإصلاح والدعوة إلى بنغاله ومنطقة آسام فاهتدى به خلق لا يحصون بحد وعد، ورجعت هذه المناطق بجهوده إلى الإسلام والدين،وكان

(**15**) (مسيرة الحياة للندوي: 40/2)

معظم سكانها يعيشون عيشة جاهلية وثنية، وبجهوده أصبح أغلبيتها مسلمين مؤمنين،

وكان طريق دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن،وكان كذالك من حكمته أنه ارسل الدعاة وابتعث العلماء إلى أنحاء لم يستطع أن يبلغ إليها فقوى أمر الدعوة والإصلاح،وكان الشيخ مجودا يقرأ القرآن بلحن شجي يأخذ بمجاميع القلوب (16)

بعض مؤلفاته:وقد ترك الشيخ بعض المؤلفات النافعة والكتب العلمية في الفقه والسلوكوالموضوعات الأخرى، فكان إلى جنب خدماته الدعوية الإصلاحية الضخمة خلد تراثا علميا قيما لا يزال منتفعا به، ومن مؤلفاته:

- "مفتاح الجنة " نال هذا الكتاب قبولا عظيما وانتشارا واسعا، كما نقل إلى لغات عديدة

(16) (مختصر من "رجال الفكر والدعوة / للأستاذ واضح الندوي ص:246)

- زينة المصلي
- زينة القارى
- زاد التقوى
- الكوكب الدري
- الدعوات المسنونة
- شرح الجزري
- نور الهدى
- رفيق السالكين
- فيض عام
- مكاشفات رحمت
- قوة الإيمان
- نسيم الحرمين
- أنوار محمدي : هذا ترجمة الشمائل المحمدية للإمام الترمذي
- ترجمة مشكاة المصابيح، ورسائل عدة في مختلف الموضوعات

وفاته: لقد توفي الشيخ بعد أعمال جليلة ومآثر صخمة وجهود مشكورة يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الثاني

1290من الهجرة عن حياة عامرة بالدعوة والإصلاح والجهد والكفاح،وخلفه الدعاة والمربون من مسترشديه وأولاده، جزاه الله خيرا عن الإسلام وأهله وتغمده بغفرانه، وأغدق عليه من شآبيب رحمته.

الشيخ محمد علي الرامفوري

الداعية الكبير المجاهد البطل العالم الرباني

كان من أعلام هذه الحركة القوية الإيمانية الشيخ العالم الكبير المحدث الكبير الداعية إلى الله المجاهد الباسل محمد علي بن عناية علي بن فضل علي الحسيني الدهلوي، كان من العلماء المعروفين والدعاة البارزين الذين لهم إسهامات ملموسة وأعمال جليلة في الدعوة والإصلاح ونشر الخير والفضيلة،كان رحمه الله شقيق العلامة حيدر علي أحد العلماء الربانيين وصنوه الصغير وتلوه في العلم والفضل،ولد ونشأ بدلهي ثم سافر إلى رامفور، أخذ العلم عن العلماء الكبار وتلمذ عليهم ثم أخذ الطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ولازمه مدة من الزمن، وأصبح مرافقا له في سبيل الدعوة والجهاد والإصلاح،

أعماله ومآثره:استخلفه الإمام السيد وبعثه إلى منطقة " مدراس " فسار إليها بأمر قائده ومرشده، واشتغل بالدعوة والإرشاد والموعظة والإصلاح،وكان في تذكيره تأثير عجيب، لقد تاب على يده الكريمة ألوف من الرجال والنساء وأنابوا إلى الله ورفضوا البدع

والأهواء وأخرج الله به خلقا من الشركيات والضلالات، حتى حسد عليه الحساد من أصحاب البدع والأهواء،

نهض زعماء البدعة ودعاتها يكابدونه ويخاصمونه، فأخرجوا كل سهم من كنانتهم، كفروه وبدعوه وفسقوه، وأحرقوا "تقوية الإيمان" في بيان الشرك والتوحيد كتاب الشيخ اسمعيل الشهيد، ثارت الفتنة الكبيرة ، وكان جمال الدين بن علاء الدين رأس هذه الفتنة العمياء، فكفره وسعى إلى الحكام، فأمروا بجلائه من "مدراس"

وتدل رسالة الشيخ الإمام القائد أحمد بن عرفان الشهيد التي كتبها إلى شقيقه الأكبر العلامة حيدر على أنه وصل إلى مناطق الحدود مع جماعة من المجاهدين عام 1242هـ(17)

قضى الشيخ محمد علي مدة من الزمن في مساهمة الجهاد في سبيل الله، ثم أمر الإمام بالانتقال إلى حيدرآباد للدعوة والإصلاح،وإعداد النفوس للجهاد وإصلاح أحوال المسلمين، فما أحب أن يترك الجهاد، فاعتذر وقال: ليس لدي علم ولا صلاحية

(**17**) (رجال الفكر والدعوة / للأستاذ واضح رشيد الندوي ص: 242)

المجادلة مع العلماء أو الوعظ والارشاد، وأبدى رغبته بأن يسمح له الإمام بالبقاء في ساحة الجهاد، ولكن الإمام قال له: "إن الله عزوجل سيشرح له صدره، ويزيل عنه عقدته" فتوجه إلى حيدرآباد، فاشتغل بالوعظ والدعوة والإرشاد، ودعا الناس إلى الإسلام واتباع تعاليمه، وترك البدع والخرافات،

ولم يلبث إلى أنه واجه معارضة شديدة من علماء السوء والجهال والحاسدين، ولكن الشيخ تحمل كل معاناة وتعب ومصيبة والأذى بكل صبر واستقامة، فتاب على يده ألوف من الناس، وكان يركز بصورة خاصة على إحياء السنة واتباع الشريعة، ومحو البدع والخرافات الشائعة،

كان الشيخ محمد على مشغولا بالدعوة والارشاد بكل ما عنده من جهد و قدرة ولا يدخر في ذلك وسعا، ولقد تغير الوضع في حيدرآباد كثيرا بجهوده، وتغيرت حياة الناس،

ثم أمره الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالانتقال إلى " مدراس " وذلك في سنة 1245هـ ولقي الشيخ هناك استجابة عظيمة من الجماهير، حيث أقبل على مجالس وعظه ألوف من الناس ، وتابوا من المعاصي والمنكرات، وأنابوا إلى الله، ودخل في بيعته عدد من

الأمراء واعضاء أسرهم، وكم رجع ممن يتعاطون الخمور والمسكرات ويقضون سائر اوقاتهم في القمار وارتكاب الجرائم إلى الله عزوجل بتوبة خالصة! وكم اغلقت حوانيت الخمر واعتذر أصحابها عن دبع الضرائب!

وعندما كان الشيخ مشغولا بالدعوة والإصلاح وقعت حدثة استشهاد الإمام القائد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل بن عبد الغني الشهيدين،فأصيب بصدمة شديدة ، وعاد إلى بلده رامفور، بعد أن قام بتربية عدد كبير من تلاميذه ومسترشديه في مدراس يواصلون مهمة الدعوة والإصلاح،

وفي عام 1250هـ خرج لزيارة بيت الله والحج عن طريق "كلكتا" فأصر أهل مدراس على أن يقيم بمدراس مدة،ثم يتوجه إلى الحجاز للحج، واقام الشيخ مرة ثانية بتلك المنطقة ، وكان لها أثرطيب على النفوس، ولكن أهل البدع والأهواء كيف يمكن أن يصبروا على ذلك، فثاروا عليه وألبوا الحكام عليه بإصدار فتوى التكفير والفسق،

وقد صنف الامير أفسر الدولة الذي كان من مسترشدي الشيخ محمد علي كتابا في اللغة الدكنية بعنوان " القول الجلي في كرامات

الشيخ محمد علي" ذكر فيه قصص اقبال الناس عليه، وتوبتهم بوعظه، وقال : " إن مواعظه كانت تلين القلوب التي كانت كالحجر صلابة ، وكان يتوب على يده عدد من قضى حياته في السرقة والزنا وارتكاب الجرائم، وتصلح حياتهم بسماع وعظه في مجلس واحد، وكان صاحب تأثير عظيم" 18

توفي الشيخ في سنة 1258هـ عن حياة عامرة بالدعوة والجهاد وترك وراءه جيلا كبيرا وعددا وجيها من تلاميذه ومسترشديه ،

(**18**) رجال الفكر والدعوة / للأستاذ واضح رشيد الندوي ص: 243)

الشيخ ولايت على الصادق فوري

الإمام المحدث المجاهد آثر نعيم الآخرة على ترف الحياة والنعيم العاجل

ومن رواد هذه الحركة العظيمة المباركة وأهم القيادات :العالم المحدث الجليل المجاهد الباسل الشجاع الشيخ ولايت على الصادق فوري الذي كان يتقلب في أعطاف النعيم ويقضى حياته في بذخ وترف كبير ثم ترك كل ذلك وآثر التقشف والزهد في حطام الدنيا على حساب عقيدته وآخرته ووقضى نحبه في سبيل الدعوة والجهاد داعيا مصلحا ومجاهدا باسلا،

اسمه ونسبه:هو الشيخ الإمام المحدث المجاهد المصلح ولايت على بن فتح على بن وارث علي بن محمد سعيد الهاشمي الصادق فوري العظيم آبادي، كان جده من جهة الأم رفيع الدين خان الذي كان حاكم ولاية "بيهار" وكان شابا محبوبا مدللا لدى جده وفي أسرته.

نشأته :لقد ترعرع وعاش هذا الشاب المتدفق اليافع في التنعم والبذخ والترف،وكان من أبناء اليسار والشرف، سافر إلى مدينة

لكناؤ لأخذ العلم، وقرأ على الشيخ أشرف بن نعمة الله اللكهنوي، وكان من الشباب المترفين، و بايع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فإذا بهذا الشاب المتنعم المترف يتغير تغيرا عظيما، ويترك متعة الحياة وراحة الجسد، تتغير حياته فيتزهد مثل الصحابي الجليل سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه، اشتغل بالتدريس والتذكير والإفادة مدة، ثم لازم شيخه وإمامه الشيخ السيد أحمد المذكور، وأخذ الحديث عن الشيخ الإمام الجليل إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي وتلمذ عليه، كما استفاد من العلماء والمشايخ،

وصفه: كان الشيخ ربع القامة ،مائلا إلى القصر ،أسمر اللون،أزج الحاجبين، كث اللحية، يلوح على وجهه علائم الهم ومخائل الذل والإفتقار، وكان حريصا على اتباع السنة السنية متتبعا للسنن في كتب الحديث والسير عاملا بها، جامعا بين العلم والعمل والعبادة والفتوة، عالي الهمة، بعيد النظر، رابط الجأش، زاهدا في الدنيا مقبلا إلى الله بقلبه وقالبه، قوي التأثير، كثير الإبتهال والدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

أعماله ومآثره: لقد انضم الشاب الناهض المتدفق المتنعم إلى جماعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وإلى موكب الدعوة والحركة الإصلاحية، وكان من شدة حرصه على الخدمة والتواضع أنه كان يحمل الحطب ويطبخ الطعام بيده للجماعة، وأحيانا يشترك في أعمال البناء فيشتغل بالماء والطين، سافر مع الإمام القائد إلى الحدود،وجاهد في سبيل الله مدة، بعثه شيخه إلى بلاد دكن فسافر إلى حيدرآباد، وأقام بها مدة، انتفع به خلق وهدى الله به عبادا، ولما سمع الشيخ ولايت على نبأ استشهاد شيخه الإمام أحمد بن عرفان في المعركة عاد إلى بلده "عظيم آباد" وأقام بها سنتين، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار البيت، وأسند الحديث عن الشيخ عبدالله سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة، ثم راح إلى اليمن، ونجد وحضرموت وغيرها من البلاد العربية، وأخذ عن القاضي محمد بن علي الشوكاني، ثم عاد إلى الهند، واشتغل بالدعوة والتذكير والتدريس، وكان يشترك في مواعظه خلق كثير، يصف الشيخ الإمام أبوالحسن الندوي قصة انضمامه إلي حركة الإمام الشهيد ومجاهداته، نترك الحديث هنا للشيخ الندوي ليتحدث عنه،فهو بمرأى من سعاد ومسمع، والحديث ممتع رائع:

"كان الشيخ ولايت على العظيم آبادي من أبناء اليسار والشرف، نشأ نشأة أبناء الأمراء وكبار الأغنياء، أبوه الشيخ فتح عالم البلد، ومن أعيانها وسراتها، وجده لأمه الشيخ رفيع الدين حسين خان حاكم مقاطعة بهار"رئيسها الإداري"

تعلم ولايت على في بيته وبلده ما تعلم، ثم سافر إلى لكناؤ بلد العلم ودار الحكومة ومركز الحضارة، فكان فيها مثلا في أناقة اللباس وحسن الهندام، وجمال الشارة، وكان يؤثر أغلى الملابس وأفخرها،ويكثر من الرطيب والعطور،

اتفق قدوم السيد الإمام مع ركبه الميمون في لكناؤ،وجاء الشيخ محمد أشرف على اللكنوي يزور السيد ويختبر علمه،وجاء معه تلميذه النجيب "ولايت على" ليشهد انتصار أستاذه، وسأل الشيخ محمد أشرف السيد عن معنى قوله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وتكلم السيد عن الآية، وبدأ يفسرها بأسلوبه العجيب، فسمعا كلاما لم يسمعاه من قبل، ولم يقرآه في كتاب، وبكى الشيخ حتى اخضلت لحيته، وبايعا السيد،ولزمه الشاب ولايت على، وصحبه إلى قريته،

وهنا في القرية تغير الشاب عما كان عليه من التجمل في اللباس والتنعم في العيش، هانت في عينه المظاهر،وملكت قلبه حقائق هي أعلى واحلى من الملبس والمطعم، ورأى حياة أجمل وأقرب إلى الطبيعة من الحياة المصطنعة الأولى، فاندمج فيها واشتغل مع زملائه بكل ما يشتغلون به من عمل وحمل، ورأى أنه أنعم بالا وأهنأ عيشا من ذي قبل،

بينما هو ذات يوم يشتغل بالماء والطين وهو في ملابس متواضعة إذ جاءه خادمه القديم، وقد أرسله أبوه مع أربع مأة روبية ومجموعة كبيرة من الملابس الفاخرة ومتاع غير ذلك، وصادفه الخادم — وقد تغيرت هيئة الشاب- فسأله عن ولايت علي، فقال : انا ولايت علي، قال الخادم : لا تسخر مني ، فإنما أسأل عن ولايت على بن العالم الكبير الشيخ فتح علي وسبط الأمير الجليل رفيع الدين حسين خان، فقال : إذا لم تصدقني فاذهب وابحث عن صاجبك، فذهب الخادم وجعل يسأل عن السيد ولايت علي، والناس يشيرون إلى الأول، ويقولون هو ذا، فرجع الخادم وبكى، وقدم إليه المال والملابس، وذهب الشاب إلى شيخه ، ووضع كل ذلك بين يديه ليقسمه على من يستحقه،

ويضعه حيث يرى، ثم عاد فاشتغل مع زملائه كأن لم يقع شيء،(إذاهبت ريح الإيمان/الندوي)

كان الشيخ ولايت على أحد كبار خلفاء السيد الإمام احمد بن عرفان الشهيد، ومن قائدي حركته، تولى القيادة بعد وفاة الشيخ نصيرالدين الدهلوي(م1256هـ 1840م) في سنة 1262هـ،

وإنه أصيب بالمحن والشدائد فصبر عليها، ذكر الشيخ أبوالحسن الندوي في كتابه: "إذاهبت ريح الإيمان" : قد الجأه الإنجليز إلى العودة إلى الهند ولزوم بيته، فقضى هذه المدة في قلق عظيم كأنه سمك أخرج من الماء، ولم تكن تنقضي هذه المدة حتى توجه الشيخ إلى مركز المجاهدين كأنه طائر يطير إلى وكره في السماء، ووصل إليه في 8/من ربيع الآخر سنة 1267هـ، وتولى القيادة بعد وفاته شقيقه المجاهد الجليل مولانا عنايت على العظيم آبادي (م/1273هـ)

قال القنوجي في كتابه: "إبقاء المنن" إني لقيته في قنوج وحضرت تذكيره، فما رأيت أسرع تأثيرا منه، ومات في 22/محرم سنة 1269هـ عن حياة عامرة بالجهود الدعوية الإصلاحية والجهاد

والكفاح، ذكر مفصلا عن مآثره وبطولاته الشيخ مسعود عالم الندوي في كتابه: "الحركة الإسلامية الأولى في الهند"

الشيخ جعفر على النقوي البستوي

وكان من أتباع الإمام القائد أحمد بن عرفان الشهيد وأعلام حركته الإصلاحية الدعوية الشيخ جعفر علي بن السيد قطب على البستوي الذي كان يعتبر من كبار علماء عصره، ولد الشيخ جعفر على في قرية "مجهوا مير" من أعمال " بستي " سنة 1218هـ، أخذ العلم من كبار العلماء في عصره، كما أخذ عن العالم الرباني الإمام الداعية المجاهد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، ونهل من هذا المورد الصافي دقة العلم وروح العمل والحمية الدينية والحماسة وعاطفة قوية للدعوة في سبيل الله، وفي نهاية المطاف إنضم إلى جماعة الإمام القائد أحمد بن عرفان الشهيد،

وتفيد الروايات المتداولة في الأسرة بأن السيد جلال الدين وصل إلى الهند من المدينة المنورة في القرن الثامن للهجرة، وأقام بمنطقة "نارنول" في بنجاب، وقام بالإصلاح والتربية ، وأنشأ مدارس دينية، ثم انتقل بعض أفراد الأسرة إلى "أيودهيا" بالقرب من "فيض آباد" ثم انتقل السيد دوست على أحد أفراد الأسرة إلى "مجهوا مير" وكان من هذه الأسرة السيد قطب على والد الشيخ جعفر على النقوي،

أعماله ومآثره: لقد قضى الشيخ مدة في الإشتغال بالتدريس والتعليم والتربية حتى بلغته أخبار الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، فاعجب بها حتى عزم على السفر للقائه، ذهب إليه والده قطب علي وأخوه السيد حسين علي مع نخبة مختارة مشتملة على سبعة عشر شخصا، وأقاموا شهرا عند الإمام، ففاز والده السيد قطب علي بالخلافة، ولما توجه الإمام أحمد إلى الحدود للجهاد في سبيل الله ، استأذنه والد الشيخ السيد قطب على للخروج في سبيل الله مجاهدا ومرابطا، وللإنضمام إلى جماعة المجاهدين مع أعضاء أسرته، فلم يأذنه الإمام لضعف صحته، ولكن سعد بإذن الخروج في سبيل الله، لحق الشيخ جعفر على بهذه الجماعة الكريمة مع المهاجرين والمجاهدين الآخرين، فوصل في رمضان 1245هـ، ورافقهم إلى المعركة الأخيرة التي استشهد فيها الإمام في "بالاكوت" وكان الشيخ كاتبا خاصا لرسائل الإمام الشهيد

يتحدث الشيخ جعفر على عن قصته للإنضمام إلى جماعة المجاهدين الغزاة في كتابه "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء" يقول :

"لما بلغنا قصد السيد الهجرة ، وأنه على جناح السفر، أراد أبونا السيد قطب علي وشقيقنا السيد حسين على أن يلحقا به، وأردت كذلك، واستشرف كل واحد منا لهذا المقصد الأسنى، ووقع التنافس، كل يريد أن ينال هذه السعادة، ويحظى بهذا الشرف، حتى وقع التحاكم إلى أمنا ورفعت إليها القضية وحكمت لى، وتكجهت إلى السيد وهو في مركز المجاهدين في الحدود، فاستقبلني خارجا من مقره، وأطلق البنادق فرحا بقدومي ، وإعلانا بوصول فرقة من المجاهدين من ناحية الهند،ورحب بي أكبر ترحيب، واختارني كاتبا لرسائله، وألحقني بفرقة الشيخ إسماعيل الشهيد ([1])

ولما استشهد الإمام القائد للحركة أحمد بن عرفان في معركته الحاسمة التي دارت بينه وبين السيخ الطغاة المتجبرين عاد الشيخ إلى وطنه ، حيث قضى حياته داعيا إلى الله ومعلما ومربيا، وقام بالتعليم والتربية والإصلاح والإرشاد وبث الوعي الديني ونفخ الحرارة الإيمانية في قلوب المسلمين، فكان يزور القرى والمدن ويعظ الناس

(1) (الإمام أحمد بن عرفان الشهيد للأستاذ واضح رشيد الندوي: ص 248)

ويوقظ من سباتهم بأسلوب حكيم مؤثر قوي، وكان من تأثير رحلاته الدعوية الإصلاحية أن رجعت القلوب المستعصية إلى الله وتاب على يده ألوف من المبتدعة والشيعة، وهجر كثير من المسلمين التقاليد والخرافات التي كانوا منغمسين فيها،

ويرجع فضل الشعور الديني الموجود في بعض المناطق من "بستي" وكوركهبور" وغيرها إلى رحلاته الدعوية وجهوده الإصلاحية، وقد نشر شبكة من المدارس الدينية والكتاتيب الاسلامية، ولم تسمح له الظروف وكثرة انشغاله بالأمور الدعوية الإصلاحية وتركيزه على التدريس والجهاد بالتأليف والبحث والتحقيق، إلا أنه ألف كتاب "منظورة السعداء في أحوال الغزاة والشهداء" باللغة الفارسية التي كان يتقنها، ويعتبر هذا الكتاب من مراجع سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ودعوته وجهاده وإصلاحه، وله رسالة في تحليل وتحريم الأنعام كالسائبة والبحيرة،

وقد أنشأ الشيخ مدرسة هداية المسلمين بعد رجوعه من " بالاكوت" في 1247هـ ، ولا تزال المدرسة تؤدي دورها الرائع وتقوم بنشاطها التعليمي والتربوي، ومن المدارس التي أنشئت بجهود الشيخ ولا تزال تؤدي دورها:

- المدرسة الجعفرية هداية العلوم في منطقة بستي
- المدرسة العربية ، سددهارت نغر
- المدرسة العربية "سمرا" في ولاية بهار
- المدرسة العربية في "سيوان" في ولاية بهار
- المدرسة العربية في نفس المنطقة

ولاشك أن للشيخ رحمه الله دور جميل ملموس وجهود رائعة في مجال الدعوة والإصلاح والتعليم والتربية والجهاد والكفاح، وإنه خلد وراءه أعمالا ومآثر وصدقات جارية كثيرة، فجزاه الله خيرا وتقبل جهده وجهاده،

وألف الأستاذ عبدالله بن مرتضى الحسيني كتابا مفصلا في سيرته "حيات جعفر"

وهذه كانت حركة اصلاحية,دعوية جهادية قوية، بل كانت كبرى الحركات الاسلامية في شبه القارة الهندية، التي جددت ذكريات القرن الأول وروائعها، وتركت بصمات بيضاء جملية تستحق أن تكتب بمداد النور على خداد الحور، وكانت لها أثرا قويا بارزا على جميع الحركات الاصلاحية، والمدارس الفكرية الدعوية التي قامت بعدها، رحم الله هؤلاء الدعاة الأبطال، والمجاهدين الكماة، الذين

بذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله، وفي إعلاء كلمته، وقيض لهذه الأمة من أمثالهم من يقود هذه الأمة إلى رشدها، ومجدها التليد، وما ذلك على الله بعزيز.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على النبي الأمي، وعلى آله وصحبه الأخيار،ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.